



فصلية محكمة متخصصة في  
علوم الوحي والدراسات الإنسانية

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 2024-11-22

تاريخ القبول: 2024-12-4

## الإسلام والإمبراطوريات الأوروبية

دايفيد موتادل<sup>(1)</sup>

ترجمة: إبراهيم الفيضا<sup>(2)</sup>

[elfidabra@gmail.com](mailto:elfidabra@gmail.com)

### ملخص:

يستعرض هذا المقال الأدبيات حول انخراط الإمبراطوريات الأوروبية المختلفة، بما في ذلك الإمبراطوريات الفرنسية والبريطانية والهولندية والروسية والألمانية مع الإسلام. ففي حين أن تاريخ الإسلام والإمبراطوريات قد جذب انتباه الدارسين لعقودٍ، إلا أن معظم دراساتهم كُتبت في المقام الأول كمساهمات في تاريخ إمبراطورية معينة أو منطقة جغرافية متميزة، ونادراً ما تشير تلك لدراسات إلى البحث عن القوى الإمبريالية الأخرى، على الرغم من أن الأسئلة والموضوعات المطروحة متشابهة بشكل ملحوظ. نجمع في هذا المقال هذه الدراسات، عاملين على كشف الموضوعات التالية: الإسلام والحكم الإمبريالي (الإمبراطوري)، وعلى وجه الخصوص الطرق التي تُوسل بها لاستيعاب المؤسسات الدينية والسيطرة عليها في الدولة الاستعمارية؛ إضافة إلى موضوع الإسلام والمقاومة المناهضة للإمبريالية. وكذا تناول العلاقة بين الإسلام والمعرفة الاستعمارية. تُقيم الدراسة الموضوعات المهيمنة في هذا المجال وتناقش عددًا من الأسئلة التي لا تزال بحاجة إلى دراسة..

### الكلمات المفتاحية:

الإمبريالية، الدين، الاستعمار، الحركات، الصراع.

(1) David Motadel (2012), "Islam and the European Empires." *The Historical Journal*, Vol. 55, Issue 3, pp. 831-856.

(2) أستاذ محاضر وباحث بالكلية المتعددة التخصصات بمدينة الناظور المغربية، دكتوراه في الأدب والدراسات الإنجليزية من جامعة محمد الأول، وجدة، المملكة المغربية.

للاقتباس: موتادل، دايفيد، الإسلام والإمبراطوريات الأوروبية، ترجمة: إبراهيم الفيضا، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج 9، ع 1، 2025، 148-181.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجاناً، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أُجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

## OPEN ACCESS

Received: 2024-11-22

Accepted: 2024-12-4



## Islam and the European Empires

David Motadel<sup>(3)</sup>Translated by: Ibrahim El-Fida<sup>(4)</sup>[elfidabra@gmail.com](mailto:elfidabra@gmail.com)

## Abstract

This article conducts a comprehensive review of the literature concerning the interactions between various European empires and Islam, including those of France, Britain, the Netherlands, Russia, and Germany. Although the history of Islam in relation to empires has captivated scholars for decades, most studies have been narrowly focused on the history of specific empires or regions, seldom addressing the commonalities among different imperial powers despite the similarities in their inquiries and themes. This article consolidates these studies and explores the following themes: the relationship between Islam and imperial rule, particularly how religious institutions were appropriated and managed by colonial states; the role of Islam in anti-imperialist resistance; and the interplay between Islam and colonial knowledge. The study evaluates the prevailing themes within this domain and identifies several questions that warrant further investigation.

## Keywords:

*Imperialism, Religion, Colonialism, Movements, Conflict.*

(1) David Motadel (2012), "Islam and the European Empires." The Historical Journal, Vol. 55, Issue 3, pp. 831-856.

(2) Lecturer and researcher at the Multidisciplinary Faculty of Nador, Morocco, PhD in English Literature and Studies from Mohammed I University, Oujda, Kingdom of Morocco.

Cite this article as: Motadel, David, Islam and the European Empires, Translated by: Ibrahim El-Fida, Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V 9, issue 1, 2025, 148-181.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes

## مقدمة:

في ذروة الإمبراطوريات، حكمت القوى الأوروبية معظم أجزاء العالم الإسلامي؛ ولم يحكم أي حاكم على وجه الأرض رعايا مسلمين أكثر من الملكية البريطانية. استوعبت الإمبراطوريات البريطانية والفرنسية والروسية والهولندية مسلمين أكثر من أي دولة إسلامية مستقلة. كان الساسة الأوروبيون والمسؤولون الاستعماريون يعتقدون أنَّ الإسلام ذو أهمية سياسية كبيرة وكانوا حذرين للغاية عندما يتعلق الأمر بمسائل الحياة الدينية لرعاياهم المسلمين. أصبحت إدارة الشؤون الدينية للمسلمين جانباً مهماً من جوانب الحكم الإمبراطوري. واستخدم المسؤولون الأوروبيون الزعماء الدينيين والمؤسسات الإسلامية في المستعمرات وبناتظام لتعزيز السلطة الإمبريالية؛ وفي الوقت نفسه، تعرضت الإمبراطوريات الأوروبية لتحدي حركات المقاومة الدينية والتمرد الإسلامية.

وقد أظهر دارسو تاريخ الإمبراطوريات الاهتمام المستمر الذي يربط الدين بالإمبراطوريات. ومع ذلك، ما تزال الأدبيات في هذا المجال تهيمن عليها الدراسات حول الإرساليات والحركات التبشيرية المسيحية إلى حدٍ كبيرٍ؛ التي يُنظر إليها عادة على أنها جزءٌ لا يتجزأ من التوسع الاستعماري الأوروبي؛ أو كما كان القول مشهوراً في السابق، «يأتي المُبشِّرُ أولاً ثم يليه القنصل ومن بعده يأتي الجيش الغازي»<sup>(5)</sup>. ومع ذلك، يشير عدد متزايد من الدراسات إلى أن دور الحركات التبشيرية المسيحية في تشكل الإمبراطوريات الأوروبية كان أقل أهمية مما هو مفترض عادة وأن التبشير والإمبراطورية كانا في الواقع مسعين مختلفين للغاية. وفي حين أن المبشرين عادة ما يتصرفون خارج الأراضي المستعمرة، اتبع حكام الإمبراطوريات عادة سياسة الحياد الديني وعدم التدخل ورفضوا منح البعثات وضعباً خاصاً في المستعمرات من أجل تجنب الاضطرابات الدينية. وقد أكد مؤرخو الإمبراطورية البريطانية على وجه الخصوص، أبرزهم «براين ستانلي» (Brian Stanley) و«أندرو بوتر» (Andrew Porter) أنه لا توجد صلة كبيرة بين الكتاب المقدس والتاج [أو الأعلام الوطنية]<sup>(6)</sup>. هذا فضلاً عن أنَّ الدارسين

(5) Hobson, J. A., *Imperialism: A Study* (London, 1902), p. 215, quoting Ching, Wen, *The Chinese Crisis from within* (London, 1901), p. 12

(6) A. N. Porter, *Religion versus Empire? British Protestant Missionaries and Overseas Expansion, 1700–1914* (Manchester, 2004); and idem, "Religion and Empire: British Expansion in the Long Nineteenth Century, 1780–1914," *Journal of Imperial and Commonwealth History*, 20 (1992), pp. 370–90; Brian Stanley, *The Bible and the Flag: Protestant Missions and British Imperialism in the Nineteenth and Twentieth Centuries* (Leicester, 1990).

أنظر أيضاً الدراسة التالية في المجلد الخامس من (تاريخ أكسفورد عن الإمبراطورية البريطانية):

Norman Etherington, "Missions and Empire," in Robin W. Winks and Alaine Low, eds., *Oxford History of the British Empire*, V: *Historiography* (Oxford, 1999), pp. 303–14.

يؤكدون أن إنجازات المبشرين في ما يخص أعمال تحويل الناس إلى اعتناق المسيحية كانت مبالغاً فيها بشكل عام وأنّ المسيحيين الأوروبيين ساهموا مساهمةً ضعيفةً فقط في انتشار المسيحية الذي استمر قرناً من الزمن؛ وهو التوسع الذي اعتمد في الغالب على العملاء/الوكلاء المحليين وتحركات الكنائس الأهلانية. وقد أكد «نورمان اثرينغتون» (Norman Etherington) وهو محرر أحد أحدث المجلدات حول الإرساليات التنصيرية والإمبراطورية أنّ كميات هائلة من الوثائق التي أنتجها المبشرون لا علاقة لها بإنجازاتهم في انتشار المسيحية على مستوى العالم، ولا أهمية لها داخل الإمبراطوريات الأوروبية<sup>(7)</sup>. ومما لا شك فيه أنّ الحياة الدينية في الإمبراطوريات الأوروبية لم يُشكّلها المبشرون المسيحيون، ولكن أتباع الديانات غير المسيحية.

حكم الأباطرة والإمبراطورات الأوروبيون المسلمين والسيخ والبوذيين والهندوس وأتباع العديد من الديانات الإفريقية<sup>(8)</sup>. كان الانتماء الديني منظاراً مهمّاً ينظر من خلاله المسؤولون الاستعماريون إلى رعاياهم. في جميع أنحاء العالم، كانت مسألة إدارة الدين وحكمه مصدر قلق محوري بالنسبة للسلطات الإمبراطورية؛ وفي الإمبراطوريات الأوروبية، كان يُنظر إلى هذه المسألة على أنها أكثر أهمية في المناطق الإسلامية، حيث كان المسلمون يعتبرون رعايا ذوي حساسية معتبرة بشكل خاص وميالين إلى الثورة.

اجتذب تاريخ الإسلام داخل الإمبراطوريات الأوروبية الكثير من الاهتمام لدى المؤرخين؛ حيث تطرقت الدراسات إلى الطرق التي تعاملت بها القوى الامبريالية مع المسلمين وعقيدتهم، كما درست هذه الدراسات توافق الإسلام ومواءمته في المستعمرات وكذا حركات المقاومة الإسلامية المناهضة للاستعمار. ومع ذلك؛ ففي حين أن هذه الدراسات ساهمت في تراكم معرفتنا حول تعامل الإمبراطوريات الأوروبية مع رعاياها المسلمين، فقد كُتبت بشكل أساسي ضمن الأطر التاريخية لإمبراطوريات محددة ومناطق محددة. وعلى الرغم من معالجة أسئلة ومشكلات مماثلة، إلا أنّ معظم الدارسين الذين تناولوا موضوع الإسلام والإمبراطوريات لم ينتهوا إلى الأعمال المتعلقة بإمبراطوريات مختلفة. لذلك تعتبر دراسة المرويات المقارنة مفقودة<sup>(9)</sup>. تستعرض الصفحات التالية وتقوم بمسح للدراسات حول

(7) Norman Etherington, 'Introduction', in idem, ed., *Missions and Empire* (Oxford, 2005).

(8) تقدم «سوزان بايلي» في كتابها مرؤية رائعة عن الفروق والاختلافات الدينية التي واجهها المسؤولون الاستعماريون في الخارج: Susan Bayly, *Saints, Goddesses and Kings: Muslims and Christians in South Indian Society 1700–1900* (Cambridge, 1989).

يقدم الكتاب الذي حرره «فرانسيس روبنسون» تاريخ كامبريدج الجديد عن الإسلام تاريخاً عاماً للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر (9) والعشرين، على الرغم من أن عدداً من المؤلفين يذكرون أو يناقشون العلاقة بين الدين والإمبريالية الأوروبية.

Francis Robinson, ed., *The New Cambridge History of Islam, v: The Islamic World in the Age of Western Dominance* (Cambridge, 2010).

الإسلام والإمبراطورية وتوضح بعض الخطوط العامة للبحث والمواضيع المشتركة. تدرس المقالة ثلاثة اتجاهات رئيسة في هذا المجال. يُقوّم الجزء الأول الأدبيات المتعلقة بالإسلام والحكم الاستعماري التي أكدت على توافق الدين في النظام الإمبراطوري. يتناول الجزء الثاني دراسات حول الإسلام ومقاومة الاستعمار؛ في حين يتناول الجزء الثالث الأبحاث التي تمّت حول العلاقة بين الإسلام والمعرفة الاستعمارية (الكولونيالية).

## الجزء الأول:

لطالما تأثرت الكتابة التاريخية عن الإمبريالية بفكرة العداء بين الإمبراطوريات الأوروبية المسيحية والإسلام. وقد وُصِفَ الاستعمارُ الأوروبيُّ بأنه جزء من تاريخ طويلٍ من الصراع بين العالم المسيحي اللاتيني والإسلام؛ الذي بدأ مع انتشار الإسلام وتوسعه واستمر مع معركة تور والحروب الصليبية وحصار فيينا. كان الواقع بطبيعة الحال أكثر تعقيداً. شكل المسلمون جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطوريات الأوروبية، تماماً كما استوعبت القوى الإسلامية، مثل بلاد فارس أو الإمبراطورية العثمانية، المسيحيين واليهود باعتبارهم أهل الذمة (ذميين *dhimmi*) لعدة قرون<sup>(10)</sup>. منذ بداية التوسع الأوروبي في الأراضي الإسلامية، لم تبذل السلطات الإمبريالية جهوداً كبيرة لدمج الإسلام في الدولة الاستعمارية فحسب، بل سعت بنشاط في كثير من الأحيان للحصول على الشرعية الإسلامية لحكم تلك الأراضي.

تناولت الدراسات جوانب مختلفة من السياسة الإمبراطورية للدين في العالم الإسلامي المستعمر. لقد كشفت تلك الدراسات عن توظيف الشخصيات الدينية والقادة من قبل السلطات الإمبراطورية لتعزيز السيطرة والنظام، كما قاموا بفحص دمج المؤسسات الإسلامية مثل المساجد والمحاكم القانونية والمدارس الدينية في الدولة الاستعمارية وبحثوا في مراقبة الطقوس الدينية وتنظيمها مثل الحج إلى مكة. تُظهر معظم هذه الأعمال أنه لإدارة الشؤون الإسلامية، قامت السلطات الأوروبية بإضفاء الطابع المؤسسي على الإسلام وأدخلت التسلسل الهرمي الكنسي والبيروقراطيات الدينية التي لم تكن معروفة على نطاق واسع في العالم الإسلامي.

دُرِسَت السياسات الإمبراطورية تجاه الإسلام أول مرة من قبل مؤرخي مصر النابوليونية. في عام 1914م، نشر «كريستيان تشيرفيلز» كتاباً رائداً عن المحاولات الفرنسية لاستغلال الإسلام في مصر

(10) Youssef Courbage and Philippe Fargues, *Christians and Jews under Islam* (London and New York, NY, 1997).

سياسيًا<sup>(11)</sup>. فبعد وقت قصير من غزو 1798م، قررت السلطات الاستعمارية الفرنسية إدارة مصر عن طريق استخدام النظام القضائي الإسلامي وتوظيف القادة الدينيين. فُسِّرَ القرآن مرارًا وتكرارًا لصالح الجيش العظيم<sup>(12)</sup> وتُرجمت التصريحات إلى اللغة العربية لإضفاء الشرعية الدينية على نظام الاحتلال. حضر نابليون نفسه احتفالًا عامًا بذكرى عيد المولد النبوي (ذكرى المولد) في القاهرة؛ وفي أجزاء أخرى أيضًا من الإمبراطورية، سرعان ما بذل الفرنسيون جهودًا لتوظيف الإسلام في حكمهم. في الجزائر على سبيل المثال، وكما أوضح «ألان كريستلو» في دراسته حول المحاكم الإسلامية والدولة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، توسلت السلطات الفرنسية بمحاكم الشريعة المحلية والقضاء الإسلامي للحفاظ على النظام<sup>(13)</sup>. أُدخِلت تدريجيًا القواعد الرسمية واليهيكل البيروقراطية الحديثة في النظام القضائي الإسلامي التقليدي؛ فالقضاة الذين باتوا تُدفع لهم رواتبهم من طرف الدولة، أصبحوا تحت رقابة مشددة. فعن طريق دمج مبادئ القانون الفرنسي والشريعة، أنشئ قانون إسلامي-فرنسي هجين، سُمي قانون المسلمين الجزائريين. ونظرًا لأن التفسيرات الأوثوذوكسية للإسلام تبدو أسهل في السيطرة، فقد عُرِّزَت الشريعة على حساب القانون العرفي. وعلى الرغم من أنه فقد الكثير من مرونته واستقلالته، إلا أن النظام القضائي الإسلامي نجا في النهاية. كما لوحظت مسألة إدماج مماثل للبنى الدينية في الدولة الاستعمارية، على الرغم من أنه قليلًا ما دُرِس، في المحميات الفرنسية في كل من تونس والمغرب<sup>(14)</sup>.

في نهاية المطاف، كانت السياسات في المنطقة المغاربية بمثابة نموذج للمسؤولين الفرنسيين في غرب إفريقيا المستعمرة كما أظهر ذلك «كريستوفر هاريسون» (Christopher Harrison). ففي كتابه

(11) Christian Cherfils, *Bonaparte et l'Islam d'après les documents français arabes* (Paris, 1914).

وانظر كذلك الكتب التالية:

Christopher J. Herold, *Bonaparte in Egypt* (New York, NY, 1962); Jean Thiry, *Bonaparte en Égypte Décembre 1797–24 Août 1799* (Paris, 1973); and Juan Cole, *Napoleon's Egypt: invading the Middle East* (New York, NY, 2007).

انظر خاصة الصفحات من 123 إلى 142. وانظر كذلك كتاب:

Jacques Frémeaux, *La France et l'Islam depuis 1789* (Paris, 1991), pp. 35–54

وانظر كذلك المقالات في الكتاب التالي التي تركز خاصة على السياسات الاستعمارية الفرنسية تجاه الإسلام.

Pierre-Jean Luizard, ed., *Le choc colonial et l'Islam: les politiques religieuses des puissances coloniales en terres d'Islam* (Paris, 2006).

(12) الجيش العظيم (أو الجيش الكبير) هو جيش نابليون بونابرت الإمبريالي الذي ساد في العقدين الأولين من القرن التاسع عشر. (المترجم).

(13) Allan Christelow, *Muslim Law Courts and the French Colonial State in Algeria* (Princeton, NJ, 1985).

(14) Arnold H. Green, *The Tunisian Ulama 1873–1915: Social Structure and Response to Ideological Currents* (Leiden, 1978), pp. 129–230; and Moshe Gershovich, *French Military Rule in Morocco: Colonialism and its Consequences* (London and Portland, OR, 2000), pp. 63–121.

العمدة، فرنسا والإسلام في غرب أفريقيا ما بين عامي 1860 و1960، بحث «هاريسون» كيف تمت عملية دمج المؤسسات الإسلامية في الدولة الاستعمارية الفرنسية<sup>(15)</sup>. وعلى الرغم من المراقبة الحذرة من قبل الإدارة الاستعمارية، فقد مُنح المسلمون استقلالاً دينياً كاملاً وكان بإمكانهم إدارة المحاكم والمدارس الخاصة بهم. دُرِسَ التعاونُ بين كبار الشخصيات والوجهاء الإسلاميين والفرنسيين في غرب أفريقيا، بتفصيل كبير، في كتاب *Paths of accommodation* لصاحبه «دايفيد روبنسون»<sup>(16)</sup>. في بحثهم عن حُلفاء محليين، سرعان ما أصبح الفرنسيون مقتنعين بأن التعاون مع شيوخ الطرق الصوفية (الأخوية) أكثر فائدة من التعاون مع الزعماء التقليديين الأقل نفوذاً. يُلقى «روبنسون» نظرة على العلاقات بين الإدارة الاستعمارية وأربعة قادة صوفيين وهم: سعد بوه (Saad Buh) وسيديا باب (Sidi-yya Baba) وكلاهما من الطريقة القادرية من موريتانيا؛ ومالك سي (Malik Sy) (من الطريقة التيجانية) وأمادو بامبا (Amadu Bamba) (من الطريقة المريدية) في حوض الفول السوداني في السنغال. تم منح الشيوخ وباقي أخوياتهم حكماً ذاتياً كاملاً في مقابل تأييد النظام الاستعماري؛ حتى إن بعض المشايخ أضفوا الشرعية على الحكم الفرنسي من الناحية الدينية زاعمين بأن الأمر «مفيد لديننا» كما قال «مالك سي» في رسالة عام 1912 م؛ كما ساهموا في الترويج للجمهورية الثالثة العلمانية باعتبارها «قوة إسلامية». وفي المقابل، ساعد التعاون مع النظام الاستعماري الشيوخ الصوفيين على تعزيز مكانتهم في غرب إفريقيا الفرنسية ونمت مؤسساتهم الإسلامية في ظل الحكم الأجنبي<sup>(17)</sup>. حتى إن الفرنسيين قاموا

(15) Christopher Harrison, *France and Islam in West Africa, 1860–1960* (Cambridge, 1988).

وحول مسألة تماسك السياسات الفرنسية تجاه الإسلام في غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر، انظر مقال «دونالد أوبراين»: Donal Cruise O'Brien, 'Towards an "Islamic policy" in French West Africa', *Journal of African History*, 8 (1967), pp. 303–316  
ورداً عليه، انظر مقال «دايفيد روبنسون»:

David Robinson, 'French "Islamic" policy and practice in late nineteenth-century Senegal', *Journal of African History*, 29 (1988), pp. 415–35

وانظر كذلك:

Jean-Louis Triaud, 'Islam in Africa under French colonial rule', in Nehemia Levtzion and Randall L. Pouwels, eds., *The history of Islam in Africa* (Athens, OH, 2000), pp. 169–88; Gregory Mann, 'Fetishizing religion: Allah Koura and French "Islamic policy" in late colonial French Soudan (Mali)', *Journal of African History*, 44 (2003), pp. 263–82; and Hélé'ne Grandhomme, 'La politique Musulmane de la France au Sénégal (1936–1964)', *Canadian Journal of African Studies*, 38 (2004), pp. 237–78.

(16) David Robinson, *Paths of Accommodation: Muslim societies and French colonial authorities in Senegal and Mauritania, 1920–1880* (Oxford and Athens, OH, 2000); see also idem, 'France as a Muslim power in West Africa', *Africa Today*, 46 (1999), pp. 105–27; idem, 'The Murids: surveillance and accommodation', *Journal of African History*, 40 (1999), pp. 193–213; the articles in idem and Jean-Louis Triaud, eds., *Le temps des Marabouts: itinéraires et stratégies Islamiques en Afrique Occidentale française v. 1880–1960* (Paris, 1967); the articles of David Robinson in idem and Jean-Louis Triaud, eds., *La Tijāniyya: une confrérie Musulmane à la conquête de l'Afrique* (Paris, 2000); and Lucy Behrman, 'French Muslim policy and the Senegalese brotherhoods', in Daniel F. McCall, ed., *Aspects of West African Islam* (Boston, MA, 1971), pp. 185–208.

(17) Robert Launay and Benjamin F. Soares, 'The Formation of an "Islamic Sphere" in French Colonial West Africa', *Economy and Society*, 28 (1999), pp. 497–519.

برعاية حج الزعماء الدينيين المخلصين ووسعوا نطاق هذه السياسة لتشمل أجزاء أكبر من السكان. وقد أظهر «غريغوري مان» و«باز لوكوك» أنه بحلول منتصف القرن العشرين، دعمت السلطات الفرنسية حج مئات المسلمين العاديين في غرب إفريقيا<sup>(18)</sup>.

لقد أدت هذه الدراسات المتعلقة باستيعاب الإسلام في ظل الحكم الفرنسي، إلى حد ما، إلى نسبة الفكرة السائدة على نطاق واسع القائلة بأن الاستعمار الفرنسي قوض البنى الإسلامية في غرب إفريقيا ودمرها. وعلى وجه الخصوص، أظهرت الأعمال المتعلقة بحقبة الغزو والفترة الاستعمارية (مدة الاحتلال) المبكرة في السنغال الفرنسية مثل دراسة «مارتن كلاين» الذي درس تأكل المؤسسات الإسلامية تحت الحكم الفرنسي، ومؤخراً أكد «الشيخ أنتا بابو» (Cheikh Anta Babou) وشدد على الاحتكاكات بين السلطات الاستعمارية والقادة المسلمين، أظهرت هذه الدراسات الجانب الأقل استيعاباً للسياسات الفرنسية تجاه الإسلام<sup>(19)</sup>. وغالباً ما وصف دارسو الإمبريالية في غرب إفريقيا السياسات الفرنسية بأنها قائمة على التدخل ولا تقوم على الاستيعاب، عاملين على مقارنتها بالسياسات البريطانية المتمثلة في عدم التدخل والاستيعاب. وقد وصفت دراسات مثل دراسة «مايكل كراودر» الموسومة غرب إفريقيا تحت الحكم الاستعماري ودراسة «ويليام مايلز» أرض الهوسا المنقسمة تدمير الفرنسيين للمؤسسات الإسلامية ومراقبتها والتدخل فيها مقارنة بالحكم البريطاني في شمال نيجيريا، حيث ظلت المؤسسات السياسية والدينية الإسلامية على حالها<sup>(20)</sup>.

والواقع أن المثل الكلاسيكي لاستيعاب الإسلام وإقامته في الإمبراطورية البريطانية هو مثال غرب إفريقيا؛ إنه في منطقة شمال نيجيريا التي كانت تحت الحماية التي تأسست في مطلع القرن العشرين، في الأراضي التي كانت تحت الخلافة السُّقُوطية<sup>(21)</sup> (Sokoto Caliphate) سابقاً، تمتع القادة المسلمون والمؤسسات الإسلامية بحكم ذاتي ملحوظ. غالباً ما وُصف نظام الحكم الاستعماري الذي أنشأه

(18) Gregory Mann and Baz Lecocq, 'Between Empire, Umma, and the Muslim Third World: the French Union and African Pilgrims to Mecca, 1946–1958', *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, 27 (2007), pp. 167–81.

(19) Martin A. Klein, *Islam and Imperialism in Senegal: Sine-Saloum, 1847–1914* (Stanford, CA, 1968); and Cheikh Anta Babou, *Fighting the Greater Jihad: Amadu Bamba and the Founding of the Muridiyya of Senegal, 1853–1913* (Athens, OH, 2007);

وانظر كذلك الجزء الثاني في هذا المقال.

(20) Michael Crowder, *West Africa under Colonial Rule* (London, 1968); and William F. S. Miles, *Hausaland Divided: Colonialism and Independence in Nigeria and Niger* (Ithaca, NY, 1994); see also William F. S. Miles, 'Partitioned Royalty: The Evolution of Hausa Chiefs in Nigeria and Niger', *Journal of Modern African Studies*, 25 (1987), pp. 233–58

(21) اختلفت التسميات فيما يخص هذه الخلافة الإسلامية التي قامت في شمال نيجيريا ما بين عامي 1804 م و1903 م؛ فهناك من كتبها صُكُتُو وهناك من رسمها سُوَكُتُو. وهذا ما يدخل ربما تحت مقولة التاريخ المنسي بحيث لا نجد لها ذكراً عند بعض المتحدين عن تاريخ الإسلام في إفريقيا. (المترجم)

«فريدريك لوغارد»، المفوض السامي الذي حكم المنطقة من عام 1899 إلى عام 1906، بأنه ليس فقط الممثل الرئيس للحكم غير المباشر، ولكن أيضًا مثال على استيعاب الإسلام في الدولة الاستعمارية<sup>(22)</sup>. تحت سيطرة عدد قليل فقط من المسؤولين البريطانيين، وُظِّفَت بعض وجوه السلطة المسلمين، منهم بالخصوص القضاة المحليون والأمراء، للحكم على المستوى المحلي. وبطبيعة الحال، لم يكن حكمهم الذاتي من دون حدود. لقد أشار بعض الدارسين، في الواقع، إلى حدود الحكم البريطاني غير المباشر للمسلمين في غرب إفريقيا (تمامًا كما ألمح المؤرخون إلى محاولات السلطات الفرنسية لاستيعاب الإسلام في غرب أفريقيا الإسلامية). يجاجج محمد ساني عمر في كتابه الإسلام والاستعمار بأن الزعماء الدينيين وعلماء منطقة الهوسا-فولاني (Fulani-Hausa) في شمال نيجيريا كانوا أقل ولاء للبريطانيين مما كان يفترض عادة<sup>(23)</sup>. وعلى الرغم من أن البريطانيين قبلوا الشريعة الإسلامية في نطاق ولايتهم القضائية، إلا أن حكمهم أثر على العديد من الممارسات القانونية الإسلامية، كما أن العديد من مراسيمهم وأحكامهم دمرت المؤسسات الإسلامية.

عاش أكبر عدد من السكان المسلمين إبان عهد الإمبراطورية البريطانية في شبه القارة الهندية

(22) المصدر نفسه: النص المؤسس يعود لصاحبه:

Frederick D. Lugard, *The Dual Mandate in British Tropical Africa* (Edinburgh and London, 1922).

وانظر كذلك:

Margery Perham, *Lugard* (2 vols., London, 1956–60), II, pp. 1–280 and 375–638.

لطالما ساءل الدارسون سياسة «لوغارد» المزعومة للحكم غير المباشر. انظر:

Hubert Deschamps, 'Et maintenant, Lord Lugard?', *Africa: Journal of the International African Institute*, 33 (1963), pp. 293–306

وكرر عليه، انظر:

Michael Crowder, 'Indirect rule: French and British style', *Africa: Journal of the International African Institute*, 34 (1964), pp. 197–205; and I. F. Nicolson, *The Administration of Nigeria, 1900–1960: men, methods, and myths* (Oxford, 1969), pp. 124–79

وحول مسألة انتشار الإسلام تحت الحكم البريطاني، انظر:

C. N. Ubah, 'Colonial administration and the spread of Islam in Northern Nigeria', *Muslim World*, 81 (1991), pp. 133–48

وحول مسألة الصراع بين المبشرين والسلطات الإسلام حول الإسلام، انظر:

Andrew E. Barnes, "'Religious insults': Christian Critiques of Islam and the Government in Colonial Northern Nigeria", *Journal of Religion in Africa*, 34 (2004), pp. 62–81.

(23) Muhammad Sani Umar, *Islam and Colonialism: Intellectual Responses of Muslims of Northern Nigeria to British Colonial Rule* (Leiden, 2006).

وحول مسألة التدخل البريطاني في الشؤون الإسلامية، انظر نفس المصدر إضافة إلى المصادر التالية:

'The Tijāniyya and British Colonial Authorities in Northern Nigeria', in Triand and Robinson, eds., *La Tijāniyya*, pp. 327–55; Peter Kazenga Tibenderana, 'The Role of the British Administration in the Appointment of the Emirs of Northern Nigeria, 1903–1931: The Case of Sokoto Province', *Journal of African History*, 28 (1987), pp. 231–57; idem, 'The Irony of Indirect Rule in Sokoto Emirate, Nigeria, 1903–1944', *African Studies Review*, 31 (1988), pp. 67–92; Auwalu Hamsxu Yadudu, 'Colonialism and the Transformation of the Substance and form of Islamic Law in the Northern States of Nigeria', *Journal of Law and Religion*, 9 (1991), pp. 17–47; and Jonathan Reynolds, 'Good and Bad Muslims: Islam and Indirect Rule in Northern Nigeria', *International Journal of African Historical Studies*, 34 (2001), pp. 601–18.

ولطالما ركز تأريخ المسلمين في الهند البريطانية على التمثيل السياسي للمسلمين وأنشطتهم في الدولة الاستعمارية. فتحت تأثير أحداث عام 1947م، بحث الدارسون تاريخ الانفصالية الإسلامية والجهود البريطانية لدعم التمثيل السياسي للمسلمين<sup>(24)</sup>. أظهرت دراسات «بيتر هاردي» و«فرانسيس روبنسون» ذات التأثير الملحوظ كيف تعامل البريطانيون وبشكل متزايد، منذ منتصف القرن التاسع عشر، مع السكان المسلمين في الهند كمجموعة متميزة، ما ساهم في بروز وعي الجماعة المسلمة. لقد وفر التأييد البريطاني لتأسيس رابطة مسلمي عموم الهند عام 1906 وإدخال عملية فصل مجموعات الناخبين عام 1909، ولو عن غير قصد، بيئة حيث يمكن أن تتطور فيها النزعة الانفصالية الإسلامية. بذل المسؤولون الاستعماريون جهودًا كبيرة من أجل التعاون مع القادة المسلمين المخلصين من أمثال سيد أحمد خان (Sayyid Ahmad Khan) كما بذلوا قصارى جهدهم لاستيعاب المسلمين في الدولة الاستعمارية. اهتمت الدراسات التي قامت حول التمثيل السياسي للمسلمين وأنشطتهم بالجوانب الاجتماعية والسياسية بدلًا من الدين في حد ذاته. بدأ الدارسون، في الآونة الأخيرة فقط، في البحث وبشكل معمق في السياسات البريطانية تجاه دين رعاياهم المسلمين في الهند وتناولوا مواضيع من قبيل دور النظام القضائي الإسلامي وإنشاء «القانون الأنغلو-إسلامي»<sup>(25)</sup> الاستعماري والسياسات البريطانية تجاه طقوس دينية محددة مثل الحج<sup>(26)</sup>. من الأمثلة الرائعة على هذا النوع من الأبحاث تجد كتاب

(24) P. Hardy, *The Muslims of British India* (Cambridge, 1972); Francis Robinson, *Separatism among Indian Muslims: the Politics of the United Provinces' Muslims, 1923-1860* (Cambridge, 1975).

وانظر كذلك عمل «فرانسيس روبنسون» الأحدث:

'The British empire and Muslim identity in South Asia', *Transactions of the Royal Historical Society*, 6 (1998), pp. 271–289.

-والحقيقة أنني وجدت بأن الدراسة نُشرت في المجلد الثامن من المجلة وليس المجلد السادس؛ على أي، على القارئ العربي المهتم أن يتحرى الأمر. (المترجم).

-وتنظر كذلك الأعمال الحديثة الأخرى مثل:

David Page, *Prelude to Partition: the Indian Muslims and the Imperial System of Control, 1920-1932* (Delhi, 1982); and Farzana Shaikh, *Community and Consensus in Islam: Muslim Representation in Colonial India, 1860-1923* (Cambridge, 1989).

تقدم فرزانا شيخ نبذة جيدة عن السجل والحوار التاريخي المعقد حول الإسلام والحكم البريطاني والطائفية في الهند في الصفحات 1-9 من الكتاب.

(25) Scott Alan Kugle, 'Framed, Blamed and Renamed: the Recasting of Islamic Jurisprudence in Colonial South Asia', *Modern Asian Studies*, 35 (2001), pp. 257–313; and Muhammad Qasim Zaman, *The Ulama in Contemporary Islam: Custodians of Change* (Princeton, NJ, 2002), pp. 17–37.

ومن أجل إجراء مقارنة مع القانون الإسلامي الجزائري (droit musulman algérien) في الجزائر الفرنسية، انظر المقال التالي:

David S. Powers, 'Orientalism, Colonialism, and Legal History: the Attack on Muslim Family Endowments in Algeria and India', *Comparative Studies in Society and History*, 31 (1989), pp. 535–71.

(26) John P. Slight, 'The British Empire and the Hajj, 1865–1956' (Ph.D., Cambridge, 2011).

انظر أيضًا:

William R. Roff, 'Sanitation and Security: the imperial powers and the nineteenth century hajj', *Arabian Studies*, 6 (1982),

«نايل غرين» الإسلام والجيش في الهند البريطانية<sup>(27)</sup>.

من خلال جيوشها، كان للقوى الاستعمارية الأوروبية تأثير مباشر على الممارسات الدينية لرعاياها. على الرغم من أن الجيش الهندي البريطاني جند هنوداً من مجموعات عرقية ودينية مختلفة، إلا أن عدد المسلمين كان مرتفعاً ارتفاعاً غير متناسب. فمن خلال استكشاف الحياة الروحية للجنود الهنود المسلمين من فرقة حيدر آباد بين منتصف القرن التاسع عشر والثلاثينيات من القرن العشرين، يوضح «غرين» كيف أن الضباط البريطانيين تسامحوا على نطاق واسع مع الممارسات الدينية لجنودهم. كانت حرية الدين تقوي العزيمة العسكرية وتضمن الولاء للتاج؛ فازدهرت الحياة الدينية في الوحدات لكن في الوقت نفسه، تأثرت الأعراف والعادات الإسلامية بالسياق الاستعماري. عزز الإطار المؤسسي للجيش أشكالاً معينة من التدين، بينما قُيدَ البعض الآخر، مما خلق شكلاً مميزاً من الإسلام يُسميه غرين «إسلام الثكنات». يعمل «غرين» على إعادة بناء الحياة الدينية للجنود المسلمين على أساس السير الذاتية لعدد من النساك الهنود الدراويش (Sufi faqirs) الذين لعبوا دوراً مهماً في المجتمعات الدينية لتلك الوحدات. برز هؤلاء النساك في الوحدات عراة وتحت تأثير العقاقير والمخدرات؛ ولكن بالنسبة لأتباعهم، كان مظهرهم الغريب علامةً على قداستهم. وفي نظر الجنود الهنود المسلمين كان يتمتع هؤلاء النساك بقوى خارقة للطبيعة. وبعد نهاية القرن، ظهرت وبشكل متزايد أشكال تدين حديثة وغالبا ما كانت أرثوذكسية في الوحدات. يُظهر «غرين» كيف كُبح استقلال النساك الهنود أكثر فأكثر، حيث أصبح البريطانيون أكثر شكاً وغير متسامحين في مواقفهم تجاه الإسلام. في أوائل القرن العشرين

pp. 143–60; Takashi Oishi, 'Friction and rivalry over pious mobility: British colonial management of the hajj and the reaction to it by Indian Muslims, 1870–1920', in Kuroki Hidemitsu, ed., *The influence of human mobility in Muslim societies* (London, 2003), pp. 151–79; Michael B. Miller, 'Pilgrims' Progress: The Business of The Hajj', *Past and Present*, 191 (2006), pp. 189–228; Michael Christopher Low, 'Empire and the Hajj: Pilgrims, Plagues, and Pan-Islam under British Surveillance, 1865–1908', *International Journal of Middle Eastern Studies*, 40 (2008), pp. 269–90; and Saurabh Mishra, *Pilgrimage, Politics and Pestilence: the Haj from the Indian Subcontinent, 1860–1920* (Delhi, 2011).

P. Hardy, *The Muslims of British India* (Cambridge, 1972); Francis Robinson, *Separatism among Indian Muslims: the Politics of the United Provinces' Muslims, 1860–1923* (Cambridge, 1975); and, more recently, idem, 'The British Empire and Muslim Identity in South Asia', *Transactions of the Royal Historical Society*, 6 (1998), pp. 271–89.

انظر كذلك الدراسات الحديثة التالية:

David Page, *Prelude to Partition: The Indian Muslims and the Imperial System of Control, 1920–1932* (Delhi, 1982); and Farzana Shaikh, *Community and Consensus in Islam: Muslim Representation in Colonial India, 1860–1947* (Cambridge, 1989).

(27) Nile Green, *Islam and the Army in Colonial India: Sepoy Religion in the Service of Empire* (Cambridge, 2009); see also idem, 'The Faqir and the Subalterns: Mapping the Holy Man in Colonial South Asia', *Journal of Asian History*, 41 (2007), pp. 57–84; and idem, 'Jack Sepoy and the Dervishes: Islam and The Indian Soldier in Princely Hyderabad', *Journal of the Royal Asiatic Society*, 18,1 (2008), pp. 31–46.

ومع تزايد المخاوف من التعصب الإسلامي، أصبحت سلطات الاحتلال تعتقد أن الإسلام يشكل تهديداً سياسياً للإمبراطورية. فبات يُنظر إلى نساك حيدر-أباد وبشكلٍ متزايد على أنهم يشكلون مصدر تخريب بسبب تعبيرهم عن إسلام ما استطاع البريطانيون إدراكه أو السيطرة عليه. وعلاوة على ذلك، بات من الثابت أن القواعد المتغيرة للأخلاق والعقلانية في بريطانيا لا تتوافق مع أسلوب حياة النساك. واعتبرت تحركاتهم المنحرفة وعُربهم واستهلاكهم للمخدرات إضافة إلى مظهرهم القذر مثيرة للاشمئزاز. وفي نظر الحكام والنخب الهندية الجديدة، لم يكن سلوك النساك علامة على وضعهم الديني الخاص وإنما كان تعبيراً عن الكسل والفوضى الأخلاقية. فمن خلال النظر إليها باعتبارها تهديداً للانضباط والوضع العسكري والنظام الاستعماري بشكل عام، بذل البريطانيون جهوداً متزايدة للسيطرة على النساك. وقد اعتُبر سلوكهم حينها علامةً على الجنون وعدم الكفاءة العقلية وحظرت الإدارة الاستعمارية العديد من «النساك المرضى» ووضعتهم في مصحات الأمراض النفسية. يربط «غرين» هذا التطور بالأهمية المتزايدة للطب النفسي في بريطانيا الفكتورية والخطابات المعاصرة حول الجنون والإجرام والحالة العاطفية الطبيعية. وأخيراً وربما هذا هو الأهم، كان التعصب المتصاعد تجاه النساك وتدين الجنود الهنود المسلمين نتيجة النفوذ المتزايد للضباط البريطانيين الإنجليبيين الذين لم يجدوا ما يفيد الدين في صلب هذه الطوائف الصوفية، بل سعوا في بعض الأحيان إلى أهداف تبشيرية، مما قد يؤدي إلى مواجهات عنيفة. وفي النهاية يبقى السؤال مفتوحاً حول ما إذا كانت هناك زيادة خطية في التعصب في تلك الوحدات أو هو بالأحرى توتر مستمر بين التسامح والتقييد. وفي نهاية المطاف، انتهج الجيش باستمرار، رسمياً على الأقل، سياسة الحياد الديني. فمن خلال ربط التاريخ العسكري والسياسي والديني، تُعد دراسة «غرين» نموذجاً يحتذى به وقدوة في الدراسات المستقبلية حول تاريخ الإسلام في جيوش الاحتلال الأوروبية.

هذا وتناول مؤرخو الإمبراطورية الهولندية استيعاب الإسلام في الدولة الاستعمارية. وعلى الرغم من أنه، في كتابه الاحتلال الهولندي والإسلام الإندونيسي الذي يُعتبر العمل المُعتمد حول الإسلام في جزر الهند الشرقية الهولندية، يؤكد «كاريل ستينبرينك» على المواجهات بين العُزاة المسيحيين والرعايا المسلمين؛ ويشير إلى أنه بمجرد ما أنشئ الحكم الهولندي استمرت المؤسسات الإسلامية في التطور ضمن الإطار الإمبريالي/الإمبراطوري<sup>(28)</sup>. حافظت سلطات الاحتلال الهولندية على المدارس والمحاكم الإسلامية وحاولت إدارة الإسلام ومؤسساته في بيروقراطية حديثة. إنَّ مكتب الشؤون الأهلية الذي

(28) Karel Steenbrink, *Dutch Colonialism and Indonesian Islam: Contacts and Conflicts, 1596–1950* (Amsterdam et al., 1993).

كان إبان فترة الاحتلال المسؤول عن الشؤون الإسلامية تحول إلى وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية في ما بعد زمن الاحتلال.

لم تكن فقط إمبراطوريات ما وراء البحار هي التي توسعت إلى الأراضي الإسلامية واحتلتها وإنما كذلك بعض الإمبراطوريات الأوروبية القارية. دُرست سياسات (إمبراطورية) «هابسبورغ» تجاه الإسلام في منطقة البلقان بعمقٍ من طرف بعض الدارسين من أمثال «روبرت دونيا» و«فرديناند هاوبتمان»<sup>(29)</sup>. أظهر مؤرخو الإمبراطورية القيصريّة اهتمامًا أكبر بمكانة الإسلام في الدولة الإمبراطورية والدراسة الأكثر شمولًا في هذا المجال هو كتاب «روبرت كروز» (من أجل النبي والقيصر) الذي يدرس العلاقة بين الدولة والمسجد في آسيا الوسطى القيصريّة<sup>(30)</sup>. فمن خلال دراسة السياسات الإمبراطورية الروسية تجاه الإسلام منذ عهد «كاترين العظيمة» انطلاقًا من ثمانينيات القرن الثامن عشر وحتى سقوط «نيكولاس الثاني» في عام 1917م، يحاجج «كروز» بأن الإدارة الروسية للمسلمين كانت أكثر تسامحًا ونجاحًا مما كان يُفترض في كثير من الأحيان. فبعد مدّةٍ من عداٍ الإسلام في عهد «بطرس الأكبر» وهي الفترة التي تميزت بتدمير المساجد وإجبار المسلمين على اعتناق ديانة أخرى، استحدثت «كاترين الثانية» سياسة من التسامح الديني. وعلى الرغم من أنّ الحكام الروس نظروا إلى أنفسهم باعتبارهم قادة للمسيحية الأرثوذكسية، إلا أنهم قدموا أنفسهم باعتبارهم رعاة للإسلام. في الواقع، كان الحكم القيصري قائمًا على أسس طائفية ومذهبية وكان الإسلام ركيزة مهمة للنظام الإمبراطوري. وظفت

(29) Robert J. Donia, *Islam under the Double Eagle: the Muslims of Bosnia and Hercegovina, 1878–1914* (New York, NY, 1981).

وعمل فرديناند:

Ferdinand Hauptmann, 'Die Mohammedaner in Bosnien-Hercegovina', in Adam Wandruzka and Peter Urbanitsch, eds., *Die Habsburgmonarchie 1848–1918*, IV (Vienna, 1985), pp. 670–701.

انظر كذلك المصدر التالي:

Rupert Klieber, *Jüdische–Christliche–Muslimische Lebenswelten der Donaumonarchie, 1848–1918* (Vienna, 2010).

(30) Robert D. Crews, *For Prophet and Tsar: Islam and Empire in Russia and Central Asia* (Cambridge, MA, and London, 2006).

انظر دراسة أخرى للباحث بعنوان:

'Empire and the Confessional State: Islam and Religious Politics in Nineteenth-Century Russia', *American Historical Review*, 108 (2003), pp. 50–83.

وانظر كذلك دراسة أخرى تحت عنوان:

"Islamic Law, Imperial Order: Muslims, Jews, and the Russian State," *Ab Imperio*, 3 (2004), pp. 467–490.

هناك أعمال أخرى تؤكد على استيعاب الإسلام في الإمبراطورية القيصريّة منها:

Allen J. Frank, *Muslim Religious Institutions in Imperial Russia: the Islamic World of Novouzensk District and the Kazakh Inner Horde, 1780–1910* (Leiden, 2001). Vladimir Bobrovnikov, 'Islam in the Russian Empire', in Dominic Lieven, ed., *Cambridge History of Russia, II: Imperial Russia, 1689–1917* (Cambridge, 2006), pp. 202–23; and Paolo Sartori, 'An Overview of Tsarist Policy on Islamic Courts in Turkestan: Its Genealogy and Its Effects', in Svetlana Gorshenina and Sergey Abashin, eds., *Le Turkestan russe: une colonie comme les autres?* (Paris, 2009), pp. 477–507.

السلطات القيصرية شخصيات مسلمة موثوقة وبعض الوجوه من العلماء الذين كان منتظر منهم ممارسة السلطة في مجتمعاتهم المحلية؛ كان يُدفع لهم من طرف «سانت بيطرسبرغ» وأصبحوا مسؤولين حكوميين وجزءًا من الدولة الإمبراطورية. تُعتبر روسيا القيصرية أبرز مثال على تدعيم البيروقراطية (bureaucratization)<sup>(31)</sup> للإسلام. في عام 1788 م، أسست «كاثرين الثانية» مجمع أورنيغ الإسلامي في أوفا (Ufa) الذي كان تحت رئاسة مفت (mufti) كان على جدول رواتب «سانت بطرسبرغ» وكانت الغاية من المُجمع مراقبة المسلمين وإدارتهم في جميع أنحاء الإمبراطورية. كان للمُجمع سلطة على العلماء المحليين لكنه كان تابعًا لوزارة الشؤون الداخلية القيصرية؛ وفي العقود الموالية، تم إنشاء هيئات ماثلة في مناطق مختلفة من الإمبراطورية، كتلك التي تأسست في عام 1831 م في جزيرة القرم وفي عام 1872 م في القوقاز حيث أُنشئت تجمعات للطائفة السُنية وللشيعة. كان لإضفاء الطابع المؤسسي على الإسلام في البنى الهرمية والكنسية تأثيرٌ كبيرٌ على الممارسة الدينية للمسلمين تحت الحكم الروسي. حاولت الدولة الإمبراطورية، من خلال هذا النظام، السيطرة تقريبًا على كل جوانب الحياة لدى المسلمين، بما في ذلك حقوق الزواج ومراسم الدفن وعدد المساجد والأئمة والحج. ومع ذلك، استخدم أيضًا القادة المسلمون البيروقراطية الجديدة لمصلحتهم الخاصة؛ حيث أتاحت لهم فرصة تقديم التماس مباشر إلى الدولة وتوظيف السلطات القيصرية لتسوية النزاعات وفرض الشريعة وممارسة السلطة في مجتمعاتهم. لكن في بعض أجزاء الإمبراطورية تبدو الصورة أكثر تعقيدًا. أصبحت منطقة القوقاز، وهي منطقة تُغطيها دراسة «كروز» بشكل هامشي فقط، مرتعًا لسخط المسلمين وتمردهم. وهناك دراسة تكميلية جيدة تُلقي الضوء على السياسات الدينية القيصرية في القوقاز وهي دراسة «فيروزه موستشاري» بعنوان في مسألة الحدود الدينية<sup>(32)</sup>. فمن خلال التركيز على أذربيجان من عام 1880 م إلى عام 1917 م، تُجادل «موستشاري» بأن الدين أثبت أنه العنصر الأكثر مقاومة للحكم الروسي. وعلى الرغم من أن الدولة الإمبراطورية وظفت شخصيات إسلامية، إلا أن الدعم الروسي لأعضاء هيئة العلماء يمكن أن يشوه سمعة المؤسسة الإسلامية في نظر السكان المحليين، الذين تحولوا من زعماء دينيين تدفَع لهم الدولة

(31) لقد أثرنا استعمال تعبير «تدعيم بيروقراطية الإسلام» دون استعمال «برقطة» الإسلام الأقل تداولًا في السياق العربي.

واللفظ الأخير في العربية قد يفيد القعود على الساقين. (المترجم)

(32) Firouzeh Mostashari, *On the Religious Frontier: Tsarist Russia and Islam in the Caucasus* (London, 2006).

وانظر حول مسألة محدودة الاستيعاب في منطقة جزيرة القرم دراستين اثنتين الأولى أطروحة للباحثة «أونيل» والثانية دراسة لنفس الباحثة:

Kelly O'Neill, "Between Subversion and Submission: The Integration of the Crimean Khanate into the Russian Empire, 1783–1853" (Ph.D., Harvard University, 2006); and idem, "Constructing Russian Identity in the Imperial Borderland: Architecture, Islam, and the Transformation of the Crimean Landscape," *Ab Imperio*, 2 (2006), pp. 163–92.

إلى زعماء طرق صوفية معادية للقيصرية. وفي كتاب صدر مؤخرًا، يجادل «ألكسندر موريسون» بأن الصراعات مع المسلمين في القوقاز وفي أماكن أخرى ساهمت في تزايد عدم الثقة بالمسؤولين الروس في جميع أنحاء الإمبراطورية وأن السياسات القيصرية تجاه المسلمين أصبحت تصادمية بشكل متزايد مع تقدم القرن التاسع عشر<sup>(33)</sup>. فبالاعتماد على مجموعة واسعة من المصادر، يقارن الباحث هذا الأمر بالتعامل البريطاني مع المسلمين في الهند، معتبرًا أنّ السلطات الاستعمارية البريطانية ظلت أقل قلقًا بشأن الإسلام. تُبرز دراسة «موريسون» الرائعة الإمكانيات الكبيرة لمقارنة السياسات الاستعمارية المختلفة تجاه الإسلام. هناك بالتأكيد حاجة مُلحة لمزيد من الدراسات المقارنة من هذا النوع. وبشكل عام، أضافت الأدبيات حول استيعاب الإسلام في النظام الإمبراطوري الأوروبي بُعدًا مهمًا للبحث في مسألة الإسلام والإمبراطورية، الذي ركز عادة على الصراع المعادي للاحتلال والثورة المسلحة.

## ثانيًا:

يتناول جزء مهم من تاريخ الاحتلال الأوروبي في العالم الإسلامي موضوع المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال. طوال العصر الإمبراطوري، واجهت السلطات الأوروبية التمرد الديني والمناهضة الإسلامية للاحتلال. دعا الزعماء الدينيون عبر إفريقيا وآسيا إلى الجهاد<sup>(34)</sup> (holy war) ضد حكم غير المسلمين في دار الإسلام. وفي بعض الأحيان، تضافرت هذه الدعوة مع الدعوة إلى الهجرة من الأراضي المحتلة اعتمادًا على مفهوم الهجرة. على الرغم من أنه علينا أن نكون حذرين حتى لا نتبنى وجهة نظر جوهرائية عن هذه الحركات المقاومة، يبدو أن هناك بعض أوجه التشابه اللافتة للنظر<sup>(35)</sup>؛ وهو كونها كانت تُساق من طرف الوجوه والسلطات الدينية وكانت الشعارات والبلاغة مشحونة دينيًا. رُوج لأشكال التنظيم الديني والأنظمة السياسية الإسلامية باعتبارها بدائل قابلة للتطبيق للحكم غير الإسلامي. عادة ما كانت هذه الحركات متجذرة في حقبة ما قبل الاحتلال وكانت تتماشى بانتظام مع الصراعات الداخلية ومحاولات تغيير المجتمعات المحلية وإنشاء دول حكومات دينية (ثيوقراطية). التأكيد هنا على الدين لا يجب أن يعني، بأي حال من الأحوال، بأن القوى الاجتماعية والاقتصادية وكذا الشروط

(33) A. S. Morrison, *Russian Rule in Samarkand, 1868–1910: A Comparison with British India* (Oxford, 2008), esp. pp. 51–87.

(34) لقد ثبت عند كثير من الدارسين الغربيين بأن يضعوا «الحرب المقدسة» مقابل «الجهاد» الذي هو أسوأ وأشمل من أن يحصر في هذا التصور المسيحي الغربي المخصوص ويُعد «برنارد لويس» من أبرز مُستعملي هذا المصطلح على طول القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. (المترجم)

(35) William R. Roff, ed., *Islam and the Political Economy of Meaning: Comparative Studies of Muslim Discourse* (London, 1987).

أكدت أعمال أخرى على أهمية السياقات الاجتماعية والسياسية في تشكيل الحركات والخطابات الإسلامية في جميع أنحاء العالم، على الرغم من أن التركيز على التنوع ينطوي على خطر إهمال أوجه التشابه الحاسمة وإغفالها.

المادية لم تكن مهمة<sup>(36)</sup>. ومع ذلك يجب أخذ الدين على محمل الجد لفهم هذه الحركات؛ لعب الإسلام دورًا مهمًا في تشكيل الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمعات الإسلامية وأثبت أنه قوة فعالة للغاية في إضفاء الشرعية والتنظيم والتعبئة في عدد كبير من الحركات الشعبية المناهضة للاحتلال. لقد درس المؤرخون أنواعًا مختلفة من حركات المقاومة الإسلامية، منها الشبكات والطرق الصوفية والحركات المهديّة والجماعات الإصلاحية والإحيائية. وبالتأكيد، كانت هناك العديد من التيارات والتشكيلات داخل كل واحدة من هذه الحركات والخطوط التي يمكن رسمها فيما بينها ليست واضحة المعالم<sup>(37)</sup>. يُمكن المجادلة بأن الحركات المسيحانية شكلت أكبر تهديد للحكم الإمبراطوري<sup>(38)</sup>. فباعتبارها مرتكزة على زعيم كاريزمي ومدفوعة بتوقعات الألفية، يمكن لشعوبها أكملها أن تنهض في ثورة. يعد أبرز مثال على ذلك هو انتفاضة المهدي السودانية في أواخر القرن التاسع عشر عندما شنَّ محمد أحمد (Muhammad Ahmad)، الذي نصَّب نفسه باعتباره المهدي، الجهاد (حربًا مقدسة holy war) ضد الحكم العثماني المصري في السودان وحُماته البريطانيون كما غزا الخرطوم وأسس دولة/ حكومة ثيوقراطية. في عام 1896م، أرسلت لندن جيشًا تحت قيادة «هربرت كيتشنر» الذي لا يرحم لمواجهة الدولة الإسلامية التي كان يقودها حينها عبد الله الطاشي، الذي خَلَفَ محمد أحمد. استغرقت الحملة أكثر من ثلاث سنوات وانتهت بهزيمة كاملة للطاشي. كان موضوع التمرد موضوعًا جذابًا باستمرارٍ حيث صار موضوعًا في العديد من الكتب الشعبية<sup>(39)</sup>. على مدى العقود الماضية، أبدى المؤرخون اهتمامًا

(36) Edmund Burke III, 'Islam and Social Movements: Methodological Reflections', in idem and Ira M. Lapidus, eds., *Islam, Politics, and Social Movements* (Berkeley, CA, et al., 1988), pp. 17–35.

(37) للمقارنة بين مختلف الحركات الإسلامية المناهضة للاحتلال، انظر «رودولف بيترز»:

Rudolph Peters, *Islam and Colonialism: the Doctrine of Jihad in Modern History* (The Hague et al., 1979), pp. 39–104; and Nikki Keddie, 'The Revolt of Islam, 1700 to 1993: Comparative Considerations and Relations to Imperialism', *Comparative Studies in Society and History*, 36 (1994), pp. 463–87, esp. pp. 481–5.

يميز «بيترز» (الصفحات 41-44) و«كيدي» (الصفحات 466 و467؛ 481) بشكل رئيس بين الثورات «المسيحانية» (messi-anic) و«الوهابية».

(38) لدراسة السياق العام، يمكن الرجوع إلى المصدر التالي:

Michael Adas, *Prophets of Rebellion: Millenarian Protest Movements against the European Colonial Order* (Chapel Hill, NC, 1979).

(39) Dominic Green, *Armies of God: Islam and Empire on the Nile, 1869–1899* (London, 2007); Fergus Nicoll, *Mahdi of Sudan and the Death of General Gordon* (London, 2005); Michael Asher, *Khartoum: The Ultimate Imperial Adventure* (London, 2005); and Robin Neillands, *The Dervish Wars: Gordon and Kitchener in the Sudan, 1880–1898* (London, 1996).

يعود الانهيار الشعبي بالمهدية (أي الحركة المهديّة) إلى زمن الثورة نفسها. تعتبر الكتب التالية مرويات معاصرة شهيرة في الموضوع:

F. R. Wingate, *Mahdism and the Egyptian Sudan* (London, 1891); and Winston S. Churchill, *The River War: An Historical Account of the Reconquest of the Soudan* (London, 1899).

مستمراً بالموضوع ودرسوا دور الأفكار الطُهرانية الإصلاحية في السودان تحت حكم المهدي والتقييمات الرسمية البريطانية للإسلام الألفي<sup>(40)</sup>. في كتابها غوردن والسودان، درست «أليس مور-هاريل» الشروط السابقة على قيام الحركة<sup>(41)</sup>. تبقى الدراسة الأكثر موثوقية وحجية حول بنية النظام الثيوقراطي نفسه هي دراسة «بيتر هولت» الكلاسيكية الدولة المهديّة في السودان<sup>(42)</sup>. قدم «هولت» رؤية فريدة حول تنظيم الدولة ودعايتها الأخروية وعلاقتها المتناقضة مع الطرق الصوفية الأخوية المحلية. ويعتبر كتاب «كيم سيرسي» تُشكّل الدولة المهديّة السودانية إضافة حديثة ومهمة لكتاب «هولت» الذي يبحث فيه «سيرسي» الطقوس والاحتفالات التي تحتفي بالسلطة التي توصل بها المهدي وعبد الله للتعبير عن السلطة والشرعية الدينية<sup>(43)</sup>. وما تزال مسألة المهديّة السودانية محور البحوث حول تقاطع الألفية الإسلامية ومناهضة الاحتلال. ومع ذلك، فقد أظهر الدارسون اهتماماً طويلاً بالأمد بالمهديّة المعادية لبريطانيا في شمال نيجيريا وتحديداً الانتفاضات في بورمي «Burmi» (عام 1903) وساتيرو «Satiru» (عام 1906) و«دمبولوا» (1923Dumbulwa)<sup>(44)</sup>. علاوة على ذلك، قدم «ثي بوتنر» تحليلاً للحرب الألمانية ضد الانتفاضات المهديّة في شمال الكاميرون في عام 1907م كما ربطها بثورات مسيحية أخرى في وسط وغرب أفريقيا<sup>(45)</sup>. وأخيراً، أظهرت دراسات «بيتر كاري» وآخرون أنه خلال ثورة «ديبانغارا»

(40) John Obert Voll, 'The Sudanese Mahdi: Frontier Fundamentalist', *International Journal of Middle East Studies*, 10 (1979), pp. 145–66; and David Steele, 'Lord Salisbury, the "False Religion" of Islam, and the Reconquest of the Sudan', in Edward M. Spiers, ed., *Sudan: the Reconquest Reappraised* (London, 1998), pp. 11–34.

(41) Alice Moore-Harell, *Gordon and the Sudan: Prologue to the Mahdiyya, 1877–1880* (London and Portland, OR, 2001).

(42) P. M. Holt, *Mahdist State in the Sudan, 1881–1898: A Study of its Origins, Development and Overthrow* (Oxford, 1958).

انظر كذلك المصدر التالي:

A. B. Theobald, *The Mahdiyya: A History of the Anglo-Egyptian Sudan, 1881–1899* (London et al., 1951).

(43) Kim Searcy, *The Formation of the Sudanese Mahdist State: Ceremony and Symbols of Authority: 1882–1898* (Leiden, 2011).

(44) Paul E. Lovejoy and J. S. Hogendorn, 'Revolutionary Mahdism and resistance to colonial rule in the Sokoto Caliphate, 1905–1906', *Journal of African History*, 31 (1991), pp. 217–244; Thea Büttner, 'Social aims and earlier anti-colonial struggles: the Satiru Rising of 1906', in Thea Büttner and Gerhard Brehme, eds., *African Studies* (Berlin, 1973), pp. 1–18; R. A. Adeleye, 'Mahdist triumph and British revenge in Northern Nigeria: Satiru, 1906', *Journal of the Historical Society of Nigeria*, 6 (1972), pp. 193–214; C. N. Ubah, 'British measures against Mahdism in Dumbulwa in Northern Nigeria, 1923: A Case of Colonial Overreaction', *Islamic Culture*, 50 (1976), pp. 169–83; Asma' u G. Saeed, 'The British policy towards the Mahdiyya in Northern Nigeria: A Study of the Arrest, Detention and Deportation of Shaykh Sa'id b. Hayat, 1923–1959', *Kano Studies*, 2 (1982–85), pp. 95–119; John Fisher, 'British Responses to Mahdist and Other Unrest in North and West Africa, 1919–1930', *Australian Journal of Politics and History*, 52 (2006), pp. 347–61; Muhammad S. Umar, 'Muslims' eschatological discourses on colonialism in Northern Nigeria', *Journal of the American Academy of Religion*, 67 (1999), pp. 59–84; and Peter B. Clarke, *Mahdism in West Africa: the Jebu Mahdiyya Movement* (London, 1995), pp. 35–44.

(45) من أجل دراسة السياق العام، انظر:

Jamil M. Abun-Nasr, *Muslim Communities of Grace: the Sufi Brotherhoods in Religious Life* (London, 2007), pp. 200–35, esp. pp. 202–14.

(Dipanegara) في عشرينيات القرن التاسع عشر، اعتمد المتمرّدون الجاويون أيضًا واستندوا ليس فقط على الإسلام الصوفي، ولكن كذلك على الأفكار المسيحانية المختلفة لشن حرب مقدسة (holy war) ضد الهولنديين<sup>(46)</sup>.

كانت أكثر قوى الكفاح المسلح ضد الاحتلال انتشارًا في العالم الإسلامي هي الطرق الصوفية<sup>(47)</sup>. ومن أشهر هذه الحركات كانت حركة [الأمير] عبد القادر والطريقة القادرية التي شنت حربًا ضد قوات الاحتلال الفرنسية في الجزائر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر وتم تناولها كذلك في دراسة «رافائيل دانزيغر» الكلاسيكية عبد القادر والجزائريين<sup>(48)</sup>. ومع ذلك، لم يكن [عبد] القادر وأتباعه القوة الوحيدة المناهضة للاحتلال في الجزائر<sup>(49)</sup>. بُحِثَتُ الطريقةُ الرحمانية في مقاومة الحكم الفرنسي في الجزائر بعمق استثنائي في كتاب المتمرّد والقديس لصاحبته «جوليا كلانسي سميث»<sup>(50)</sup>. دعم العديد من أتباع الطريقة ثورة المهدي بوزيان عام 1849م وانتفاضة محمد بن عبد الله، مهدي مدينة ورقلة في سنوات 1851-1855. وعلى الرغم من أنّ أيًا من المهديين لم يكن شيخًا رحمانيًا (Rahmaniyya)، تُشير كلانسي-سميث إلى أن تدخل الطريقة الرحمانية (Rahmaniyya) فقط هو الذي أعطى الانتفاضة بُنية. وبعد فشل كلتا الثورتين، سعى الرحمانيون بشكلٍ متزايدٍ إلى الإقامة تحت حكم الاحتلال؛ وتناقش «سميث» أيضًا آليات المقاومة الإسلامية ضمن إطار دولة الاحتلال. عندما توفي الشيخ محمد بن أبي القاسم عن الطريق الرحمانية عام 1897م ولم يترك وريثًا ذكرًا، أعلنت ابنته غير

(46) Peter Carey, *The Power of Prophecy: Prince Dipanagara and the End of an Old Order in Java, 1785-1855* (Leiden, 2007). Dipanagara's millenarianism was based on a syncretism of various strains of centuries-old Javanese folkloric eschatology, most importantly the idea of the prophet Ratu Adil, and newer ideas of the Islamic Mahdi, see Adas, *Prophets of Rebellion*, pp. 93-9; and Justus M. van der Kroef, 'Javanese Messianic expectations: their origin and cultural context', *Comparative Studies in Society and History*, 1 (1959), pp. 299-323, esp. pp. 308-09.

(47) من أجل دراسة السياق العام، انظر ما يلي:

Jamil M. Abun-Nasr, *Muslim Communities of Grace: The Sufi Brotherhoods in Religious Life* (London, 2007), pp. 200-35, esp. pp. 202-14.

(48) Raphael Danziger, *Abd al-Qadir and the Algerians: Resistance to the French and Internal Consolidation* (New York 1977).

انظر كذلك البحث الكلاسيكي من طرف «بول أزان» التالي:

Colonel Paul Azan, *L'Émir Abd El Kader, 1808-1883: du fanatisme Musulman au patriotisme français* (Paris, 1925); and articles published in Marcel Émérit, ed., *L'Algérie à l'époque d'Abd-El-Kader*(Paris, 1951).

وفيما يخص جذور الجهاد ما قبل فترة الاحتلال عند عبد القادر، انظر:

Amira K. Bennison, *Jihad and its Interpretations in Pre-Colonial Morocco: State-Society Relations during the French Conquest of Algeria* (London and New York, NY, 2002).

(49) Benjamin Brower, *A Desert Named Peace: the Violence of France's Empire in the Algerian Sahara, 1844-1902* (New York, NY, 2009); see also the articles in part II of Burke and Lapidus, eds., *Islam, Politics, and Social Movements*; and, more generally, Fanny Colonna, 'Cultural Resistance and Religious Legitimacy in Colonial Algeria', *Economy and Society*, 3 (1974), pp. 233-52.

(50) Julia Clancy-Smith, *Rebel and Saint: Muslim Notables, Populist Protest, Colonial Encounters* (Berkeley, CA, 1944).

المتزوجة لالة زينب خلافته. واجهت معارضة شرسة من طرف المسؤولين الفرنسيين الذين طلبوا خليفته ذكراً وحاولوا تنصيب ابن شقيق القاسم. في النهاية، وظفت زينب محامين فرنسيين واستخدمت بنجاح النظام القضائي الفرنسي لمواجهة سلطات الاحتلال. وما تزال الطريقة أو الحركة السنوسية إحدى أكبر الحركات المقاومة الصوفية دراسة فيما يخص منطقة شمال أفريقيا. ومع مطلع القرن العشرين، شن محاربو أحمد شريف السنوسي وإخوانه في الطريقة الجهاد ضد الجنود الفرنسيين في الصحراء كما كتب عن ذلك ببراعة «جون-لوي تريو»<sup>(51)</sup>. كما تحدث السنوسية في وقت لاحق الفرنسيين في ثورة كاوسي (Kaocen) عامي 1916-1917م في شمال النيجر وجنوب المغرب العربي وعارضت أخيراً الاحتلال الإيطالي لمدينة برقة (Cyrenaica). ومن خلال دراسة التشكل الفكري للطريقة أوضح «نوت فيكور» أن الطريقة متجذرة في تراث علمي طويل يعود للقرن الثامن عشر<sup>(52)</sup>.

كما دُرسَ التقاطع بين الأخويات الصوفية ومعاداة الإمبريالية من قبل مؤرخي الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء. يقدم «دافيد روبنسون»، في كتابه حرب عمر تال المقدسة، صورة متعددة الأوجه للأسطورة محمد عمر تال والطريقة التيجانية التي واجهت التوسع الفرنسي في السافانا في غرب إفريقيا، في منتصف القرن التاسع عشر<sup>(53)</sup>.

في كتابه الجهاد الأكبر، يفحص الشيخ «أنتا بابو» دور «أما دو بامبا» وطريقته المريدية في مقاومة الاحتلال في السنغال الفرنسية<sup>(54)</sup>. في الواقع، أدت النزاعات بين المريدية والسلطات الفرنسية إلى اعتقال «بامبا» وترحيله ونفيه لمدة سبع سنوات في عام 1895م. فقط بعد نهاية القرن، غير الفرنسيون سياساتهم وبدأوا في الانخراط التدريجي من أجل التقارب مع الطريقة الصوفية. كما درس الباحثون أيضاً المقاومة الصوفية المتشددة للحكم الأوروبي في شرق إفريقيا. والأهم في هذا المجال هي دراسة

(51) Jean-Louis Triaud, *La légende noire de la Sanûsiyya: une confrérie Musulmane saharienne sous le regard français (1840–1930)* (2 vols., Paris, 1995), esp. II; idem, *Tchad 1900–1902: une guerre Franco-Libyenne oubliée? Une confrérie Musulmane, la Sanusiyya, face à la France* (Paris, 1987); see also the classic of E. E. Evans-Pritchard, *The Sanusi of Cyrenaica* (Oxford, 1949).

(52) Knut S. Vikør, *Sufi and Scholar on the Desert Edge: Muhammad b. 'Ali al-Sanusi and his Brotherhood* (London, 1995).

(53) David Robinson, *The Holy War of Umar Tal: the Western Sudan in the Mid-Nineteenth Century* (Oxford, 1985); see also idem, *Chiefs and clerics: Abdul Bokar Kan and Futa Toro 1853–1891* (Oxford, 1975), esp. pp. 28–53; Fernand Dumont, *L'anti-Sultan, ou Al-Hajj Omar Tal du Fouta, combattant de la foi (1794–1864)* (Paris, 1971); Murray Last, 'Reform in West Africa: the Jihad movement of the nineteenth century', in J. F. A. Ajayi and Michael Crowder, eds., *History of West Africa, II* (London, 1974), pp. 1–29, esp. pp. 17–23; and Christian Coulon, 'Prophets of God or of History? Muslim Messianic Movements and anti-Colonialism in Senegal', in Wim van Binsbergen and Matthew Schoffeleers, eds., *Theoretical Explorations in African Religion* (London, 1985), pp. 346–66.

(54) Babou, *Fighting the Greater Jihad*; see also idem, 'Contesting Space, Shaping Places: Making Room for the Muridiyya in Colonial Senegal, 1912–1945', *Journal of African History*, 46 (2005), pp. 405–26.

«عبدى شيخ عبدى» لـ «حركة الدراويش»، لشيخ الصالحية محمد عبد الله حسن «الملاً المجنون» كما كان يسميه البريطانيون، وهو الذي واجه القوات البريطانية والإيطالية والإثيوبية في أرض الصومال<sup>(55)</sup>. كما قامت الطريقة الصالحية لمحمد حسن وتصارعت مع الطريقة القادرية المنافسة التي عارضت حكم الاحتلال الألماني في شرق إفريقيا<sup>(56)</sup> كما ندرك ذلك من خلال أعمال «برادفورد مارتين» و«مايكل بسيك»؛ أظهر مارتين وبسك أنه بمجرد انتشار الدعاية الإسلامية المعادية للاحتلال، أو ما يسمى «رسائل مكة المكرمة»، تسبب في قلق مسؤولي الاحتلال الألمان.

كما جذبت المقاومة الصوفية أيضاً انتباه دارسي الإمبراطورية القيصريّة. في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دعا الأئمة الأسطوريون الثلاثة غازي محمد وحمزة بك وشامل إلى الجهاد (war)، أو الغزوات (ghazawat)، ضد القوات الروسية في شمال القوقاز. قاوم الإمام شامل، وهو عسكري عبقرى ووحشى خلده ثولستوي في عمله حاجي مراد، الجيش القيصري وحاربه لما يقرب من ثلاثين سنة. ومن خلال تطبيقهم للتشريعات التي تقتضها الشريعة عمل هؤلاء الأئمة على دمج المجتمعات المحلية في شمال القوقاز في إمامة.

واجه الروس المتمردون بقسوة مفردة كما وُصف ذلك بتفصيل في كتاب عمدة المقاومة الإسلامية للقيصر لصاحبه «موشي غامر»<sup>(57)</sup>. أكد «غامر» وبعض المؤرخين الآخرين على دور الطريقة النقشبندية الأخوية في تنظيم النضال والصراع ضد القيصريّة ودورها في توحيد المسلمين في إمامة. لقد تم تناول مسألة أهمية الشبكات الصوفية في مقاومتها ضد الروس في القوقاز مؤخرًا في كتاب «أنا زلكينا» (في طريق البحث عن الإله والحرية)<sup>(58)</sup>. ومع ذلك وبعد وقت قصير من نشر كتاب «زلكينا»، بدأ الدارسون يبحثون في مدى أهمية الطرق الصوفية في المقاومة المناهضة لروسيا. وفي مقال رائد، أشار «ألكسندر كنيش» بأنه لا يوجد دليل واضح على التأثير الصوفي على المقاومة الإسلامية في القوقاز، على الرغم من

(55) Abdi Sheik-Abdi, *Divine Madness: Mohammed Abdulle Hassan (1856–1920)* (London and Atlantic Highlands, NJ, 1993); for contemporary interpretations see H. G. C. Swayne, *Seventeen Trips through Somaliland and a Visit to Abyssinia: with Supplementary Preface on the 'Mad Mullah' Risings* (London, 1903), and Douglas J. Jardine, *The Mad Mullah of Somaliland* (London, 1923).

(56) B. G. Martin, 'Muslim politics and resistance to colonial rule: Shaykh Uways B. Muhammed Al-Barawi and the Qadiriya brotherhood in East Africa', *Journal of African History*, 10 (1969), pp. 471–86; and Michael Pesek, 'Islam und Politik in Deutsch-Ostafrika, 1905–1919', in Albert Wirz, Katrin Bromber, and Andreas Eckert, eds., *Alles unter Kontrolle: Disziplinierungsverfahren im Kolonialen Tanzania (1850–1960)* (Cologne, 2003), pp. 99–140.

(57) Moshe Gammer, *Muslim Resistance to the Tsar: Shamil and the Conquest of Chechnia and Daghestan* (London, 1994); see also idem, 'Shamil's most Successful Offensive: Daghestan 1843', *Journal of Muslim Minority Affairs*, 12 (1991), pp. 41–54.

(58) Anna Zelkina, *In Quest of God and Freedom: Sufi Responses to the Russian Advance in the North Caucasus* (London, 2000).

أن المراقبين الخارجيين آمنوا بالتهديد الصوفي منذ الفترة الاستعمارية<sup>(59)</sup>. وبالمثل، ففي دراسته الممتازة حول المقاومة ضد القيصريّة في القوقاز، جادل «مايكل كمبر» بأن النقشبندية لم يكن لها تأثير حاسم على حركة الجهاد، بل وعلى تنظيم الإمامة<sup>(60)</sup>. على الرغم من دعمهم لحرب الأئمة ونظامهم السياسي، إلا أنّ شيوخ الطرق الصوفية والأخوية لم يخطرأوا بشكلٍ خاصٍ في العمل العسكري والإداري. كانت للعائلات البارزة القديمة وأمراء الحرب المحليين في المجتمعات القروية الذين لم يكن لهم، في أحسن الأحوال، سوى روابط سطحية بالنقشبندية أهمية أكبر. كما جادل «كمبر» بأن الأفكار الصوفية لعبت دورًا ثانويًا فقط. شجّع الأئمة الثلاثة، بشكلٍ رئيسي، على تطبيق الشريعة وإلغاء العادات وتأسيس نظام حكم إسلامي؛ وبالتالي تصرفوا وفقًا لتقليد «حركة الشريعة» الإصلاحية في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وفي مواجهة المقاومة الإسلامية في شمال القوقاز، حاولت الدولة الإمبراطورية الروسية بوعي تعزيز قانون العادات<sup>(61)</sup>؛ وفي الآونة الأخيرة، دعمت دراسة رئيسة أخرى حول الغزوات في القوقاز كتبها «كليمنس سيدوركو» أطروحات «كمبر»<sup>(62)</sup>.

كما نوقشت بشكل عام مسألة أهمية التأثيرات الصوفية في الثورات المناهضة للاحتلال. اقترح كل من «ألكسندر كنيش» و«مايكل كمبر» إعادة النظر والتفكير في دور الصوفية في مقاومة الاحتلال كليًا<sup>(63)</sup>. وبالإشارة إلى مسألة كتابة تاريخ منطقة القوقاز القيصريّة وكذلك الجزائر الفرنسية، فهما يُجادلان بأن تأثير الأخويات الصوفية في حركات المقاومة الدينية قد بُوغ فيهِ. وبالفعل، فإن كتاب «رافائيل دانزغير» عن عبد القادر قد جعل أهمية الصوفية في حكم عبد القادر نسبيًا<sup>(64)</sup>. أكدت دراسة «عبيدي شيخ عبيدي» حول حركة محمد عبد الله حسن، في أرض الصومال، على التأثيرات الوهابية<sup>(65)</sup>. وبالمثل، أظهرَ الدارسون أنّ زعيم الطريقة التيجانية عمر تال كان أكثرَ اهتمامًا بفرض

(59) Alexander Knysh, 'Sufism as an Explanatory Paradigm: The Issue of the Motivations of Sufi Resistance Movements in Western and Russian Scholarship', *Die Welt des Islams*, 42 (2002), pp. 139–73.

(60) Michael Kemper, *Herrschaft, Recht und Islam in Daghestan: von den Khanaten und Gemeindebünden zum gihā'd-Staat* (Wiesbaden, 2005).

(61) Michael Kemper, 'Adat against Shari'a: Russian Approaches toward Daghestani "Customary Law" in the Nineteenth Century', *Ab Imperio*, 3 (2005), pp. 147–74.

(62) Clemens P. Sidorko, *Dschihad im Kaukasus: antikolonialer Widerstand der Dagestaner und Tschetschenen gegen das Zarreich* (18. Jahrhundert bis 1859) (Wiesbaden, 2007).

يقدم «سيدوركو» مراجعة تاريخية رائعة من خلال الصفحات x-vii.

(63) Kemper, *Herrschaft*; idem, 'The Changing Images of Jihad Leaders: Shamil and Abd alQadir in Daghestani and Algerian Historical Writing', *Nova Religio: Journal of Alternative and Emergent Religions*, 11 (2007), pp. 28–58; and Knysh, 'Sufism as an explanatory paradigm'.

(64) Danziger, *Abd al-Qadir*, pp. 195–7.

(65) Sheik-Abdi, *Divine Madness*, pp. 56–61.

الشريعة والإصلاح<sup>(66)</sup>. ومما لا شكَّ فيه أنَّ الإصلاحية الإسلامية كانت مؤثرة في مختلف الصراعات المناهضة للاستعمار.

ظهرت العديد من حركات الإصلاح الإسلامية في القرن الثامن عشر، ولعل أشهرها الوهابية في شبه الجزيرة العربية، وأصبحت قوى شديدة ضد الاحتلال الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين. تكلم المصلحون المسلمون وتحدثوا عن ضرورة تجديد الإسلام وتنقيته، مع التوكيد على القرآن والسنة والحديث. فعملية الرجوع إلى الإسلام «النقي» والإسلام «الصحيح» وحدها الكفيلة بالتصدي لأفول عقيدتهم؛ ومن المؤكد أنَّ أفكار المصلحين المسلمين تضمنت درجة كبيرة من التفكير العلماني حول الإيمان وتصور للدين بالتوسل بعبارات مجردة. يمكن ملاحظة هذه الصياغة للدين على نحو عالمي وقد وُصفتُ باعتبارها جزءاً من «ولادة العالم الحديث»<sup>(67)</sup>.

بطبيعة الحال، لم تكن حركات الإصلاح الإسلامية مرتبطة بالضرورة بالنضال المناهض للاحتلال؛ وعلى سبيل المثال، تم استيعاب الحركات الرئيسية للتجديد الديني في النهج البريطانية، من بينها بالخصوص مدرسة ديوبند (Deoband School تأسست عام 1866) ومدرسة عليكرة (Aligarh School تأسست عام 1875)، داخل دولة الاحتلال<sup>(68)</sup>. في دراستها المهمة حول المدرسة الديوبندية، أظهرت «باربرا ميتكالف» أنَّ الحكم البريطاني شكَّل بالفعل صياغة الأفكار الإصلاحية<sup>(69)</sup>. كشفت «ميتكالف» عملية مأسسة التعليم واستقدام البنى البيروقراطية مثل إحداث نظام امتحانات وتأسيس للمؤسسات مثل إنشاء مكتبة مركزية والتوسل بالتقنيات الحديثة مثل دور الطباعة والتلغراف ونظام البريد التي أحدثت ثورة فيما يخص نشر المعرفة الدينية<sup>(70)</sup>. وبالمثل، كما أوضح «أديب خالد» ف «الجديدية»، باعتبارها حركة إصلاح تتكون من المفكرين والدارسين المسلمين في آسيا الوسطى، في أواخر القرن

(66) Murray Last, 'Reform in West Africa', pp. 17–23.

(67) C. A. Bayly, *The Birth of the Modern World, 1780–1914: Global Connections and Comparisons* (Oxford, 2004), pp. 325–365, esp. pp. 333–343.

(68) David Lelyveld, *Aligarh's First Generation* (Princeton, NJ, 1978); C. W. Troll, *Sayyid Ahmad Khan* (New Delhi, 1978); Ziyau-Hasan Faruqi, *The Deoband School and the Demand for Pakistan* (Bombay, 1963); and Barbara Metcalf, *Islamic Revival in British India: Deoband, 1860–1900* (Princeton, NJ, 1982); see also idem, 'Islam and Power in Colonial India: The Making and Unmaking of a Muslim Princess', *American Historical Review*, 116 (2011), pp. 1–30, on the intersection of Islamic reformism (Siddiq Hasan Khan's *Ahl-i Hadith* movement) and British imperialism in Shah Jahan Begum's Bhopal.

(69) Metcalf, *Islamic Revival*.

(70) المصدر نفسه؛ وانظر كذلك مقالة «فرانسيس روبنسون»:

Francis Robinson, 'Technology and Religious Change: Islam and the Impact of Print', *Modern Asian Studies*, 27 (1993), pp. 229–51.

C. A. Bayly, *The Birth of the Modern World, 1780–1914: Global Connections and Comparisons* (Oxford, 2004), pp. 325–65, esp. pp. 333–43.

التاسع عشر، لم تكنْ ترغب في مواجهة عنيفة مع الإمبريالية الروسية، مع أنّ المسؤولين القيصريين ظلوا متشككين وفي حالة ريبة من هذا الأمر<sup>(71)</sup>. كانت سلطات الاحتلال واعية بأن الأفكار الإصلاحية كان بإمكانها إشعال ثورة مناهضة للإمبريالية.

كانت الحركات الإحيائية الإسلامية بمثابة قوة بارزة في حركات المقاومة المناهضة للاحتلال في شمال الهند البريطانية<sup>(72)</sup>. ومن بينها كانت حركة إصلاحية هي الطريقة المحمدية، التي كان يقودها سيد أحمد برولي (Ahmad Barelwi) وخلفه، التي أعلنت الحرب على السيخ ولاحقًا على البريطانيين في شمال الهند. وعلى مدار القرن التاسع عشر، كانت مسألة الثورة في الحدود الشمالية الغربية التي أطلقها، على وجه الاحتمال، المتمرّدون الذين ألهمتهم الوهابية و«المتشدّدون الهندوستان» أو «الوهابيون الهندوستان» كما أطلق البريطانيون عليهم تلك التسمية. ظلت منطقة الحدود مرتعًا للمتمردين من أمثال الأساطير الملائمة الله والملائمة نجم الدين والملائمة سيد أكبر والإمام السوري «شامي بير» والميرزا «علي خان» المعروف باسم «فقير أبي» (Faqr of Ipi أو ناسك منطقة أبيي) حتى نهاية حكم الاحتلال البريطاني. في جزر الهند الشرقية الهولندية [جمهورية أندونيسيا] أيضًا، لعب الإحياء الإسلامي دورًا مهمًا في

(71) Adeb Khalid, *The Politics of Muslim Cultural Reform: Jadidism in Central Asia* (Berkeley, CA, 1998).

ومن أجل منظور أقدم منها وسابق عليه انظر:

Hélène Carrère d'Encausse, *Réforme et révolution chez les Musulmans de l'empire russe* (Paris, 1966).

David Lelyveld, *Aligarh's First Generation* (Princeton, NJ, 1978); C. W. Troll, *Sayyid Ahmad Khan* (New Delhi, 1978); Ziyul-Hasan Faruqi, *The Deoband School and the Demand for Pakistan* (Bombay, 1963); and Barbara Metcalf, *Islamic Revival in British India: Deoband, 1860–1900* (Princeton, NJ, 1982); see also idem, 'Islam and power in colonial India: the making and unmaking of a Muslim princess', *American Historical Review*, 116 (2011), pp. 1–30.

وانظر حول مسألة تقاطع حركة التجديد الإسلامي (Siddiq Hasan Khan's Ahl-i Hadith movement) والإمبريالية البريطانية في Shah Jahan Begum's Bhopal

(72) Qeyamuddin Ahmad, *The Wahabi Movement in India* (Calcutta, 1966); J. G. Elliott, *The frontier 1839–1947: the Story of the North-West Frontier of India* (London, 1968); Hugh Beattie, *Imperial Frontier: Tribe and State in Waziristan* (London, 2001); and Alan Warren, *Waziristan, the Faqr of Ipi, and the Indian Army: the North-West Frontier Revolt of 1936–1937* (Oxford, 2000).

وتشمل المرويّات المعروفة في الموضوع الدراسات التالية:

Michael Barthorp, *The North-West Frontier: British India and Afghanistan: a pictorial History, 1839–1947* (Poole, 1982); idem, *Afghan Wars and the North-West Frontier, 1839–1947* (London, 2002); and Jules Stewart, *The Savage Border: the Story of the North-West Frontier* (Stroud, 2007).

وتشمل المرويّات المعروفة المعاصرة في الموضوع الدراسات التالية:

E. A. P. Hobday, *Sketches on service during the Indian Frontier Campaigns of 1897* (London, 1898); and Winston Spencer Churchill, *The Story of the Malakand Field Force: an Episode of Frontier War* (London et al., 1898).

وحول تصورات «تشرشل» للحدود الشمالية الغربية، انظر:

David B. Edwards, 'Mad Mullahs and Englishmen: Discourse in the Colonial Encounter', *Comparative Studies in Society and History*, 31 (1989), pp. 649–70.

التعبئة من أجل مناهضة الاحتلال. من أجل مواجهة جيوش الاحتلال، دعت الجماعات الإسلامية المقاتلة التي كانت تقوم بحرب عصابات سواء في حرب البادري، فيما بعد التدخل الهولندي في سنوات 1821-1837م، أو في انتفاضة البانتين (the Banten Uprising) عام 1888م وحرب الأسي (1873-1913 Aceh War) إلى الجهاد (*jihad*) وتوسلت باللغة والخطابة الإحيائية الإسلامية باعتبارها دافعاً موحداً ضد كل من المنافسين الداخليين والتسلط الاستعماري. في دراسته الموسومة (الأمة الإسلامية وأندونيسيا إبان فترة الاحتلال)، يؤكد «ميكائيل فرانسيس لافان» على أهمية الشبكات الدينية الدولية التي ربطت المسلمين في أندونيسيا مع الحركات والمراكز الإسلامية للتعليم في الشرق الأوسط<sup>(73)</sup>. استُقدِمَت الأفكار حول الإصلاح ومناهضة الاحتلال التي عملت على تشكيل القومية الإندونيسية الباكورة عن طريق الحُجاج الذين زاروا مكة المكرمة ومن طرف الطلاب والوجهاء الدينيين الذين درسوا في مصر وسوريا أو الحجاز. اعتبرت السلطات الهولندية التحريض الإسلامي، المناهض للاحتلال الذي أسسه النشطاء الإصلاحيون، تهديداً شديداً واستحدثت آليات مختلفة للمراقبة والتنظيم. وباعتبار مكة المكرمة مصدراً للأفكار الثورية الإسلامية، كانت السلطات الهولندية منشغلة للغاية حول مسألة الحج وأسست نظاماً بيروقراطياً وتنظيمياً لمراقبة حركية الحجاج؛ كما رُصدَ الطلاب من جزر الهند الشرقية [أندونيسيا] الذين درسوا في الأزهر ومراكز التعليم الإسلامية الأخرى ورُوقبوا.

لقد اعتبرت حركات التجديد الإسلامية -على نطاق واسع- من طرف المسؤولين الاستعماريين باعتبارها تهديداً عالمياً. ومع نهاية القرن التاسع عشر، كانت المكاتب الحكومية في «سانت بطرسبرغ» وباريس ولندن قلقة اتجاه شبح عالمية الإسلام يطاردها شبحه<sup>(74)</sup>. فقد عمل المحرضون عبر العالم،

(73) Michael Francis Laffan, *Islamic Nationhood and Colonial Indonesia: The Umma Below the Winds* (London and New York, NY, 2003).

المصدر نفسه وانظر أيضاً «فرانسيس روبنسون»:

Francis Robinson, 'Technology and Religious Change: Islam and the Impact of Print', *Modern Asian Studies*, 27 (1993), pp. 229-51.

(74) Jacob M. Landau, *The Politics of pan-Islam: Ideology and Organization* (Oxford, 1990); Adeb Khalid, 'Pan-Islamism in Practice: The Rhetoric of Muslim Unity and Its Uses', in Elisabeth Özdalga, *Late Ottoman Society: The Intellectual Legacy* (Abingdon, 2005), pp. 201-24; Naimur Rahman Farooqi, 'Pan-Islamism in the Nineteenth Century', *Islamic Culture*, 57 (1983), pp. 283-96; Nikki R. Keddie, 'Pan-Islam as Proto-nationalism', *Journal of Modern History*, 41 (1969), pp. 17-28; Anthony Reid, 'Nineteenth-Century pan-Islam in Indonesia and Malaysia', *Journal of Asian Studies*, 26 (1967), pp. 275-6; and Martin Kramer, *Islam Assembled: The Advent of The Muslim Congresses* (New York, NY, 1986); see also the classic by Dwight E. Lee, 'The Origins of pan-Islamism', *American Historical Review*, 47 (1942), pp. 278-87. On the Khalifat movement, see M. Naeem Qureshi, *Pan-Islam in British Indian Politics: A Study of the Khalifat Movement, 1918-1924* (Leiden, 1999); Azmi Özcan, *Pan-Islamism: Indian Muslims, the Ottomans and Britain, 1877-1924* (Leiden, 1999); Gail Minault, *The Khalifat movement: Religious Symbolism and Political Mobilisation in India* (New York, NY, 1982); Albert Christiaan Niemeijer, *The Khalifat Movement in India, 1919-1924* (The Hague, 1972); and Hasan Mushirul and Margrit Pernau, eds., *Regionalizing pan-Islamism: Documents on the*

ضمن عالمية الإسلام، على نشر أفكارهم حول التضامن الديني وجمية إسلامية موحدة ضد التسلُّط الأوروبي. وعلى الرغم من أن عالمية الإسلام كانت بالأساس مشروعًا فكريًا حَضْرِيًّا، فقد كان بمقدورها إلهام ثورات عنيفة. ففي مصر توسلَ ثوارُ عرابيِّ ببلاغة عالمية الإسلام واستعملوها لتحريض المؤمنين ضد التدخل البريطاني عام 1882م. وفي السنوات الموالية حارب «اللورد كرومر» بحماس دعاية عالمية الإسلام، عاملا على سبيل المثال على منع مجلة عالمية الإسلام المشهورة التي كانت تصدر من باريس وهي العروة الوثقى. وبعد الحرب العالمية الأولى، واجه البريطانيون حركة الخلافة المبنية على فكرة عالمية الإسلام في الهند. وما زال مفكرو عالمية الإسلام ونشطاءه، وعلى الخصوص الثلاثي منهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا يحظون باهتمام الدارسين<sup>(75)</sup>. وتعتبر دراسة عمرو رياض في كتابه الإصلاحية الإسلامية والمسيحية إحدى أحدث الدراسات حول الموضوع، التي تفحص مسألة النظر إلى المسيحية والحركة التنصيرية المسيحية في فكر رواد عالمية الإسلام<sup>(76)</sup>. فمن خلال دراسة كتابات رشيد رضا وخصوصًا مقالاته في (مجلة) المنار وفتاويه حول المسيحية التي صدرت حين كان مفتيًا لمصر، يُظهر رياض بأن رضا أمضى وقتًا معتبرًا في تحدي سجلات المُنصرين المسيحيين، وكذلك رُدّه على المثقفين المسيحيين العرب المعادية للإسلام. لم يدحض رضا قط المسيحية في ذاتها وإنما حاول إعادة تفسير رسالتها وعقيدها بحسب ما جاء في القرآن، بل إنّه مدح الحماسة الدينية عند المُنصرين واعتبارها مثالًا يحتذى للمسلمين. هناك عدد من التوجهات اللافتة فيما يخص البحث حول أيديولوجيا عالمية الإسلام وفعاليتها؛ وقد وُضِعَت الحركة مؤخرًا في السياق الواسع للخطابة والدعاية المناهضة للاحتلال في العالم غير الأوروبي. في دراسته المقارنة الرائعة حول فكر عالمية الإسلام وفكر

*Khilafat Movement* (New Delhi, 2005).

انظر بالخصوص حول مسألة مخاوف الإمبراطوريات من عالمية الإسلام كتاب «جون داروين»:

John Darwin, *The Empire Project: The Rise and Fall of the British World System, 1830–1970* (Cambridge, 2009), pp. 295–7.

Adeeb Khalid, *The Politics of Muslim Cultural Reform: Jadidism in Central Asia* (Berkeley, CA, 1998).

ومن أجل وجهة نظر سابقة، المرجو الاطلاع على المصدر التالي:

Hélène Carrère d'Encausse, *Réforme et révolution chez les Musulmans de l'empire russe* (Paris, 1966).

(75) Nikki R. Keddie, *Sayyid Jamal ad-Din 'al-Afghani': A Political Biography* (Berkeley, CA, 1972); idem, *An Islamic Response to Imperialism: Political and Religious Writings of Sayyid Jamal ad-Din al-Afghani* (Berkeley and Los Angeles, CA, 1968), pp. 1–97; Homa Pakdaman, *Djemeal-ed-Din Assad Abadi dit Afghani* (Paris, 1966); Mark Sedgwick, *Muhammad Abduh* (Oxford, 2009).

انظر كذلك المصدر التالي:

Malcolm Kerr, *Islamic Reform: The Political and Legal Theories of Muhammad 'Abduh and Rashid Rida* (Berkeley, CA, 1966).

(76) Umar Ryad, *Islamic Reformism and Christianity: A Critical Reading of the Works of Muhammad Rashid Rida and his Associates (1898–1935)* (Leiden, 2009).

عموم بلدان آسيا، أظهر «سميل أيدين» كيف رفض المفكرون غير الأوربيين النظام العالمي الغربيّ وطوروا أفكار الإحياء الإسلامية والآسيوية، عندما أدركوا في منتصف القرن التاسع عشر بأنّ الأفكار الأوروبية عن النظام الدولي لا يمكن أن تكون مُمارسة كونية<sup>(77)</sup>. كما أشار «أيدين» كذلك إلى دور الدولة العثمانية في تطور فكرة عالمية الإسلام. ومنذ حكم عبد الحميد الثاني، تُوسّل بخطاب عالمية الإسلام من طرف الباب العالي العثماني باعتباره في الوقت نفسه استراتيجية داخلية واستراتيجية جيوسياسية. وقد استُعملت في النهاية لإشعال الثورة الإسلامية في إمبراطوريات الأعداء خلال الحرب العالمية الأولى.

وفي السنوات الأخيرة، لفتت الدراسات الأكاديمية الانتباه إلى جهود الإمبراطوريات الأوروبية المتوسل بالدعاية الدينية حتى يُحرّض الرعايا المسلمون لدى قوى الاحتلال المنافسة؛ وقد وُقر الإسلام على ما يبدو قوة وسلطة محرّكة يُمكن استغلالها لإحداث ثورة إسلامية لخدمة غايات سياسية وعسكرية. فقد كان «نابليون» يمني النفس لحصول جبهة إسلامية موحدة ضد روسيا الأرثوذكسية<sup>(78)</sup>. كما أشار المؤرخون إلى جهود البريطانيين والفرنسيين والعثمانيين ومحاولاتهم تحريك المسلمين في شبه جزيرة القرم وفي جبال القوقاز خلال حرب جزيرة القرم<sup>(79)</sup>. وأظهرت أبحاث قيمة محاولات قوى المركز تثوير المسلمين الوريين في الحرب العالمية الأولى<sup>(80)</sup>. وفي نوفمبر عام 1914م، نشرت الحكومتان الألمانية

(77) Cemil Aydin, *The Politics of anti-Westernism in Asia: Visions of World Order in Pan-Islamic and Pan-Asian Thought* (New York, NY, 2007).

وحول الدعم العثماني لمسألة عالمية الإسلام، انظر:

Kemal H. Karpat, *The Politicization of Islam: Reconstructing Identity, State, Faith, and Community in the Late Ottoman State* (Oxford, 2001); and Selim Deringil, *The Well-Protected Domains: Ideology and Legitimation of Power in the Ottoman Empire, 1876–1909* (London, 1998).

(78) Note pour le moniteur, Pultusk, 30 Décembre 1806, in *Correspondance de Napoléon Ier, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III*, XIV (Paris, 1863), pp. 123–4.

(79) Orlando Figes, *Crimea* (London, 2010), passim.

(80) Fritz Fischer, *Germany's Aims in the First World War* (New York, NY, 1987), pp. 120–31, first explored this campaign; Tilman Lüdke, *Jihad made in Germany: Ottoman and German propaganda and intelligence operations in the First World War* (Münster, 2005); Herbert Landolin Müller, *Islam, Gihād ('Heiliger Krieg') und Deutsches Reich: ein Nachspiel zur Wilhelminischen Weltpolitik im Maghreb, 1914–1918* (Frankfurt am Main, 1992); Salvador Oberhaus, 'Zum wilden Aufstande entflammen': die deutsche Propagandastrategie für den Orient im Ersten Weltkrieg am Beispiel Ägypten (Saarbrücken, 2007); Jide Osuntokun, 'Nigeria's Colonial Government and the Islamic Insurgency in French West Africa, 1914–1918', *Cahiers d'Études Africaines*, 15 (1975), pp. 85–93; Gerhard Höpp, *Muslims in der Mark: als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen, 1914–1924* (Berlin, 1997); Michael Reynolds, *Shattering Empires: The Clash and Collapse of the Ottoman and Russian Empires, 1908–1918* (Cambridge, 2011), pp. 82–139; Peter Hopkirk, *On Secret Service East of Constantinople: the Plot to Bring down the British Empire* (London, 1994); Donald McKale, *War by Revolution: Germany and Great Britain in the Middle East in the era of World War I* (Kent, OH, 1998); and Sean McMeekin, *The Berlin–Baghdad Express: The Ottoman Empire and Germany's Bid for World Power, 1898–1918* (London, 2010).

والعثمانية فتوى شيخ الإسلام، باعتباره السلطة الدينية العليا للخلافة في مدينة القسطنطينية، الداعية للجهاد (holy war أو الحرب المقدسة) ضد دول الوفاق؛ وقد تُرجمَ النصُّ إلى عدة لغات ووُزِعَ عبر العالم. ومن خلال حملة دعائية ضخمة، استُعِلَّت الخطابة الإسلامية لإضفاء الشرعية الدينية من أجل انخراط المسلمين مع صف قوى المحور. وقد ردَّ البريطانيون والفرنسيون والروس عبر التوسل بحملاتهم الدعائية الدينية الأمر الذي ظل أقل دراسة. ومؤخرًا، قامت بعض الدراسات بالبحث في محاولات مماثلة قامت بها قوى المحور لتعبئة المسلمين خلال الحرب العالمية الثانية<sup>(81)</sup>.

توجد العديد من القضايا التي تستحق الدراسة من طرف الأبحاث المستقبلية حول الإسلام ومناهضة الاحتلال؛ ويبدو الأمر واعدًا فيما يخص توسيع الإطار التاريخي للبحث حول مسألة الإسلام والإمبراطوريات إذا ما امتد إلى فترة التحرر من الاحتلال. هذا فضلًا عن أن الانتقال بالبحث الأكاديمي من التركيز على النُخب إلى التركيز على عامة المسلمين العاديين وخطاباتهم كما تجلت وانعكست في أغانيهم وصلواتهم/دعواتهم وقصصهم وأشكال أخرى من الفلكلور يُمكن أن يكون مفيدًا. كما يمكن للدراسات أيضًا أن تفحص بشكل أعمق العلاقة بين الأسباب والدوافع المقدسة والدوافع الدنيوية فيما يخص المقاومة الإسلامية والثورات الإسلامية. وتبقى التساؤلات حول دور الشبكات والحركات الإسلامية العالمية في صراعاتها المناهضة للإمبريالية عبر دول العالم الإسلامي المستعمرة تساؤلات مثيرة وجذابة. وعلى الرغم من أنها عادة ما تُدرَس من خلال سياق جهوي، كان للعديد من الصراعات بُعدًا دوليًا ونظَر إليها على ذلك النحو من طرف سلطات الاحتلال. كما أنَّ هناك حاجة للدراسات المقارنة لحركات الجهاد (jihad) المناهض للاحتلال<sup>(82)</sup>.

## الجزء الثالث:

أنتجت سلطات الاحتلال كمًّا هائلًا من النصوص حول الإسلام. تقدم هذه الكتابات نظرة حول مدى تطور الأفكار حول الإسلام التي وقَّرت معطيات لسلطات الاحتلال الأوروبية وضباط الجيش والسياسيين<sup>(83)</sup>. كان الإسلام يُدرك عادة على أنه دين مُنظم يمكن دراسته وفهمه. كان يبدو بأن

(81) David Motadel, 'Germany's policy towards Islam, 1941–1945' (Ph.D., Cambridge, 2010); and Harry J. Benda, *The Crescent and the Rising Sun* (The Hague, 1958).

(82) Starting points remain Peters, *Islam and Colonialism*, pp. 39–104; and Keddie, 'The Revolt of Islam', pp. 481–5.

(83) من أجل دراسات عامة حول التصورات الغربية عن الدين الإسلامي في عصر الإمبريالية هناك كتابان لـ «نورمان دانيال»: Norman Daniel, *Islam, Europe and Empire* (Edinburgh, 1966); and, more generally, idem, *Islam and the West: The Making of an Image* (Edinburgh, 1960); see also Albert Hourani, *Islam in European Thought* (Cambridge, 1991).

المجتمعات الإسلامية يحكمها نظام متجانس فيما يخص القيم والمعايير والأعراف وتتميز بعقلية مخصصة وجملة من العادات والسلوكيات. ويبدو أنّ الإملاءات والأولويات الإسلامية وفُرت إطاراً مثاليًا لإضفاء الشرعية على مطالب القوة والسلطة التي يمكن استغلالها سواء من طرف الثوار المسلمين أو من طرف الحكام الأوروبيين.

وعلى مدى العقود الأخيرة، لفتت التساؤلات حول العلاقة بين الإمبراطورية والسلطة والمعرفة اهتمام الدارسين<sup>(84)</sup>. درست بعض الأعمال المهمة، من أهمها دراسات «برنارد كوهن» و«كريستوفر بايلي» و«ساؤل دييو»، تجميع المعلومات وإنتاج المعرفة خلال فترة الاحتلال [المعرفة الكولونيالية] وترتيبها وتنقيتها كما درست اللغة والمصطلحات المستعملة لتبليغ هذه المعلومات وتوصيلها، وأخيرًا تناولت العلاقات بين هذه المعرفة والقرارات السياسية وتسلط تحكم الاحتلال. فحص المؤرخون المعرفة الخاصة بالخرائط والمعرفة اللسانية والإثنوغرافية والبيئية؛ وكان الدين من بين أهم المقولات التي استخدمتها سلطات الاحتلال لتحديد السكان المحليين ومعرفتهم<sup>(85)</sup>. أصبح الدين مقولة تحليلية وبيروقراطية مركزية تطبق على الرعايا المحتلين بغض النظر عن ورعهم وعن تصورهم للدين. ففي حين كان للسلطات الأوروبية، فكرة واضحة عما كان يُفِيدهُ الدين وكانوا قادرين على التمييز والتفصيل بين المجالين الديني والدنيوي، فيما يخص حياة رعاياهم، لم يكن بمقدور المستعمرين القيام بذلك التمييز والفصل.

(84) من أجل مراجعة لهذه المسائل، انظر:

Tony Ballantyne, 'Colonial Knowledge', in Sarah Stockwell, ed., *The British Empire: Themes and Perspectives* (Oxford, 2008), pp. 177–98; Bernard Cohn, *Colonialism and its Forms of Knowledge* (Princeton, NJ, 1996); C. A. Bayly, *Empire and Information: Intelligence Gathering and Social Communication in India, 1780–1870* (Cambridge, 1997); and Saul Dubow, *A Commonwealth of Knowledge: Science, Sensibility, and White South Africa, 1820–2000* (Oxford, 2006).

Fritz Fischer, *Germany's aims in the First World War* (New York, NY, 1967), pp. 120–31, first explored this campaign; Tilman Lüdke, *Jihad made in Germany: Ottoman and German propaganda and intelligence operations in the First World War* (Münster, 2005); Herbert Landolin Müller, *Islam, Gihād ('Heiliger Krieg') und Deutsches Reich: ein Nachspiel zur Wilhelminischen Weltpolitik im Maghreb, 1918-1914* (Frankfurt am Main, 1992); Salvador Oberhaus, *'Zum wilden Aufstande entflammen': die deutsche Propagandastrategie für den Orient im Ersten Weltkrieg am Beispiel Ägypten* (Saarbrücken, 2007); Jide Osuntokun, 'Nigeria's colonial government and the Islamic insurgency in French West Africa, 1914–1918', *Cahiers d'Études Africaines*, 15 (1975), pp. 85–93; Gerhard Höpp, *Muslimen in der Mark: als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen, 1914–1924* (Berlin, 1997); Michael Reynolds, *Shattering empires: the clash and collapse of the Ottoman and Russian empires, 1908–1918* (Cambridge, 2011), pp. 82–139; Peter Hopkirk, *On secret service east of Constantinople: the plot to bring down the British empire* (London, 1994); Donald McKale, *War by revolution: Germany and Great Britain in the Middle East in the era of World War I* (Kent, OH, 1998); and Sean McMeekin, *The Berlin–Baghdad Express: the Ottoman Empire and Germany's bid for World Power, 1898–1918* (London, 2010).

(85) Ballantyne, 'Colonial knowledge', pp. 190–2.

David Motadel, 'Germany's policy towards Islam, 1941–1945' (Ph.D., Cambridge, 2010); and Harry J. Benda, *The Crescent and the Rising Sun* (The Hague, 1958).

تأثرت معظم المعرفة التاريخية حول الروابط بين المعرفة وسلطات الاحتلال بأفكار كل من فوكو وسعيد. في واحدة من أكثر أجزاء كتاب الاستشراق إثارة للاهتمام، ناقش سعيد التوسل بالإسلام من طرف السلطات الفرنسية إبان احتلال نابليون لمصر، مؤكداً على الدور المهم الذي لعبه الدارسون المستشرقون وبالأخص منهم طلبة «سيلفستر دو ساسي»<sup>(86)</sup>. إنَّ الدراسات حول الإسلام والاحتلال الفرنسي التي تمت مراجعتها أعلاه، وبالأخص دراسات «كريستلو» و«هاريسون» و«روبنسون» قد درست بتفصيل كبير المعرفة الفرنسية والأفكار حول الإسلام والطرق التي من خلالها شكلت تلك المعرفة الممارسة السياسية<sup>(87)</sup>. كما أكدوا هم كذلك على أهمية الدارسين الفرنسيين من أمثال «ألفريد لو شاتلييه» و«روبرت أرنو» و«خافيير كوبولاني» و«بول مارتى» الذين لم يدرسوا فقط المجتمعات الإسلامية تحت الحكم الفرنسي ولكنهم ساهموا في صياغة سياسات الاحتلال تجاه هذه المجتمعات. لقد اعتبر الفرنسيون المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء على أنهم مختلفون عن غيرهم في شمال إفريقيا والعالم العربي. وعلى الرغم من النظر إليه باعتباره أرفع من المعتقدات الإفريقية، إلا أنَّ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى كان يعتبر مختلفاً عن الإسلام العربي الأصلي والنقي. فمن خلال خلط مفاهيم العرق والدين، اختلق الدارسون وخصوصاً منهم «بول مارتى» مفهوم «الإسلام الأسود». نُظِرَ إلى الإسلام الأسود على أنه مزيج من الإسلام العربي «النقي» والمعتقدات والعادات الإفريقية الجاهلية دَرَسَهَا الأنتروبولوجيون الفرنسيون أمثال «إميل دوركهايم» و«لوسيان ليفي بروهل». ومن جهة أخرى، خُلِقَتْ مفاهيم «الإسلام الأبيض» و«الإسلام المورو» [أو إسلام مسلمي شمال إفريقيا] لتصنيف مُسلمي موريتانيا والدول المغاربية والعالم العربي. ففي حين اعتُبرَ «الإسلام الأبيض» على أنه «أصولي» ويشكل خطراً، اعتقد الدارسون الفرنسيون ومسؤولو الاحتلال أن «الإسلام الأسود» كان سهلاً الإدارة؛ كما أنه في إفريقيا جنوب الصحراء كذلك، استمرت مسألة التخوف من الإسلام (*le péril de l'Islam*) ضمن سجلات سلطات الاحتلال.##

في كتابه *An Empire of Facts*، يفحص «جورج ترامبل» التصورات الفرنسية عن الإسلام في الجزائر المحتلة بين عام 1870م وبداية الحرب العالمية الأولى<sup>(88)</sup>. يناقش «ترامبل» أعمال طيف واسع من

(86) Edward Said, *Orientalism* (London, 2003 (1978)), pp. 80–7.

Starting points remain Peters, *Islam and colonialism*, pp. 39–104; and Keddie, 'The revolt of Islam', pp. 481–5.

(87) Christelow, *Muslim Law Courts*; Harrison, *France and Islam*; Robinson, *Paths of Accommodation*.

من أجل دراسات عامة حول التصورات الغربية عن الدين الإسلامي في عصر الإمبريالية هناك كتابين لـ «نورمن دانيال»: Norman Daniel, *Islam, Europe and Empire* (Edinburgh, 1966); and, more generally, idem, *Islam and the West: The Making of an Image* (Edinburgh, 1960); see also Albert Hourani, *Islam in European Thought* (Cambridge, 1991).

(88) George Trumbull IV, *An Empire of Facts: Colonial Power, Cultural Knowledge, and Islam in Algeria, 1870–1914* (Cambridge, 2009).

المؤلفين، منهم الرحالة ومسؤولو سلطات الاحتلال والدارسون؛ كما يُحاجج بأن السياق الإمبريالي لم يُشكل تلك النصوص فقط، بل أثرت تلك النصوص في تفكير سلطات الاحتلال وحددت السياسات الفرنسية في الجزائر. ويعتبر عمل «لويس رين» من الأمثلة البارزة وهو بيروقراطي من سلطات الاحتلال كان مسؤولاً عن السكان المسلمين في الجزائر، الذي نشر عام 1884م دراسته المهمة عن الطريقة الصوفية (*Marabouts et Khouan*)؛ كان القصد من الكتاب هو تهيئة مسؤولي سلطات الاحتلال لمباشرة عملهم في الجزائر. أظهرت السلطات الفرنسية اهتمامًا كبيرًا بالأخويات حيث ظهرت على أنها الشكل الأكثر تنظيمًا للحياة الدينية في الجزائر في القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من أنها عادة ما وُصفت بالضعف والتخلف، كان يُنظر إلى هذه الطُرق على أنها تهديد سياسي محتمل. يلاحظ «ترامبل»، على وجه العموم، شكًا فرنسيًا متزايدًا نحو الإسلام الذي يُرجعه إلى عدد من الأسباب. أولًا، بسبب الثورات الإسلامية المناهضة للاحتلال مثل ثورة 1870م التي أشعلتها الطريقة الرحمانية في القبائل، انتشرت المخاوف من قيام ثورات دينية فيما بين الكُتاب الفرنسيين. ثانيًا، تأثرت المواقف والسلوكيات تجاه الإسلام بالنزعة الجمهورية المعادية للدين. فكما كان الأمر مع اليسار الذي رأى في الكاثوليكية خطرًا على النزعة الجمهورية الفرنسية، وكما حاول اليمين المعادي للسامية تصوير اليهودية، باعتبارها تهديدًا سياسيًا، رأى العديد من رجال الاحتلال في الجزائر التدين الإسلامي على أنه خطر على دولة الاحتلال. وأخيرًا، أثرت التطلعات حول المهمة الحضارية وفكرة تقدم الحضارة في النصوص الفرنسية حول الإسلام الجزائري. تم النظر إلى علاقات النوع الاجتماعي على أنها تحد وإشكال حضاري وأخلاقي؛ كما تم وصف الطُفوس الدينية من طرف بعض الكتاب باعتبارها دليلاً على التخلف، الأمر الذي يُشعرن التدخل الفرنسي. ففي مقاطع مهمة من كتاب *An Empire of Facts*، يساءل «ترامبل» تلك الثنائية بين الحاكم المُحتل والرعايا. إن مدى سلاسة هذا الانقسام ظهر في المقاطع التي تتحدث عن الوسطاء المسلمين المحليين، مثل الشيخ الصوفي أحمد التيجاني، وهو مُخبر مهم لـ «لويس رين»، أو الطيب بن الحاج بشير وهو جندي استعماري سابق وزعيم صوفي روج للطرق الصوفية كدعامة لدولة الاحتلال وليس كتهديد لها.

أظهر المؤرخون الدارسون للإمبراطوريات اهتمامًا بمجموعة واسعة من المفاهيم والتصورات الاستعمارية البريطانية للإسلام في أفريقيا<sup>(89)</sup>. علاوة على ذلك، ناقش دارسو الاحتلال البريطاني

(89) Holger Weiss, 'Variations in the Colonial Representation of Islam and Muslims in Northern Ghana, Ca. 1900–1930', *Journal of Muslim Minority Affairs*, 25 (2005), pp. 73–95.

ومن أجل إجراء مقارنة بين التصورات الاستعمارية (الكولونيالية) الفرنسية والبريطانية والألمانية عن الإسلام في غرب أفريقيا،

في الهند دور التصورات والمفاهيم البريطانية عن الاختلافات الدينية في تعزيز الطائفية الدينية في شبه القارة الهندية. بينما جادل بعض المؤرخين بأن البريطانيين فهموا المجتمع الهندي من حيث الانقسامات الدينية وعليه اتبعوا سياسة خلقت الطائفية الدينية، أكد آخرون على حقيقة أن التصنيفات الدينية من قبيل «السيخ» و«الهندوسي» و«المسلم» كان لها معنى سياسي في الهند ما قبل الاستعمار، وأن الطائفية الدينية لم تكن من اختراع عقل الاحتلال البريطاني<sup>(90)</sup>. أدى الإسلام، على أي حال، دوراً مهماً في التصورات البريطانية عن الهند إبان فترة الاحتلال. في كتابه التمثلات حول الهنود المسلمين في خطاب الاحتلال البريطاني، دَرَسَ «أليكس بادامسي» مؤخراً طبيعة المفاهيم والتصورات الاستعمارية البريطانية عن الإسلام في الهند بشكل عام<sup>(91)</sup>. على الرغم من أن المؤلف يصر على أنَّ الأفكار البريطانية حول الإسلام كانت مُعقدة للغاية، إلا أنَّ الكتاب يركز بشكل أساسي على العداء البريطاني تجاه الإسلام؛ ويؤكد أن نقطة التحول كانت ثورة عام 1857م. في أعقاب ذلك، ربطت العديد من الكتابات الإسلام بالتأمر والتشدد والتعصُّب. ومن بين النصوص التي نُوقِشتْ كتابات الضابط الاستعماري «ألفريد لال» ومذكرات «مارك ثورنهيل» الشهيرة عن «التمرد» والكتابات المثيرة للجدل لـ «ويليام ويلسون هانتر» الذي نشر في كتابه الذي صدر عام 1871م<sup>(92)</sup>، المخاوف من مؤامرة وهابية؛ وفي الحقيقة، مال البريطانيون إلى تسمية جميع مجموعات المقاومة الإسلامية في الهند على أنها «هابية». يتعامل الجزء الأكثر إثارة للاهتمام من الكتاب مع النقد الإسلامي لهذه المنشورات؛ وبشكل عام، يميل «بادامسي» إلى المبالغة في التوكيد على العداء البريطاني تجاه الإسلام. وليس هناك اعتبار للكتابات

انظر:

'European Images of Islam in the Northern Hinterlands of the Gold Coast through the Early Colonial Period', *Sudanic Africa*, 12 (2001), pp. 83–110; and Rüdiger Seesemann, "Ein Dialog der Taubstummten": französische vs. britische Wahrnehmungen des Islam im spätkolonialen Westafrika', *Africa Spectrum*, 37 (2002), pp. 109–39.

(90) من أجل دراسة المجموعة الأولى، انظر:

Gyanendra Pandey, *The Construction of Communalism in Colonial North India* (Delhi, 1990).

ومن أجل دراسة المجموعة الثانية، انظر:

C. A. Bayly, 'The Pre-history of "Communalism"? Religious Conflict in India 1700–1860', *Modern Asian Studies*, 19 (1985) pp. 177–203; Katherine Prior, 'Making History: the State's Intervention in Urban Religious Disputes in the North-Western Provinces in the Early Nineteenth Century', *Modern Asian Studies*, 27 (1993), pp. 179–203; and Cynthia Talbot, 'Inscribing the Other, Inscripting the Self: Hindu-Muslim Identities in Pre-colonial India', *Comparative Studies in Society and History*, 37 (1995), pp. 692–722.

(91) Alex Padamsee, *Representations of Indian Muslims in British Colonial Discourse* (New York, NY, 2005).

(92) كتابه هو:

*The Indian Musalmans: Are They Bound in Conscience to Rebel Against the Queen?* (1871).

التي تناقش بريطانيا باعتبارها «حامية» للإسلام، من قبيل كتاب «ويلفريد بلنت» (مستقبل الإسلام الصادر عام 1882)، أو تلك التي تناول بريطانيا باعتبارها «سلطة إسلامية» من قبيل كتاب «كورت» (الإسلام والإمبراطورية البريطانية الصادر عام 1902م)<sup>(93)</sup>. في الواقع، أشارت دراسات أكاديمية أخرى إلى أن المواقف السياسية البريطانية تجاه الإسلام في الهند أصبحت أكثر تعاطفًا وبشكل متزايد في أواخر القرن التاسع عشر<sup>(94)</sup>. كما لا يزال من غير الواضح مدى تأثير النصوص التي ناقشها «بادامسي» في تشكيل المواقف البريطانية الرسمية في المُستعمرة. يمكن اعتبار الكتاب جزءًا من مجموعة متنامية من الأدبيات عن الصور الفيكتورية للإسلام، التي تستند إلى الأعمال المنشورة وتركز على المفاهيم والتصورات الخاطئة عن الإسلام في دول المركز (the metropolis) بما في ذلك كتاب «فيليب أموند» (*Heretic and Hero*) وكتاب «كلينتون بينيت» (*Victorian Images of Islam*) وكتاب «شاهين خان» (*Islam and the Victorians*)<sup>(95)</sup>.

أُكِّد تاريخ الإمبراطورية الهولندية في جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) منذ فترة طويلة على أهمية دور خبراء الإسلام وأبرزهم «كاريل فريدريك هولتي» و«فان دير بيهغ» و«سنوك هورغرونيه» في تشكيل سياسات الاحتلال. يعتبر «هورغرونيه» من أبرز تلك الأعلام التي تناولته بعمق أعمال كل من «هاري بيندا» و«بيتر فان كونينسفيلد» و«أولريك فرايتغ» و«إيريك تالياكوزو» ومؤخرًا من طرف «ميكائيل لافان»<sup>(96)</sup>؛ فباعتباره دارسًا بارعًا، وُضِعَ «هورغرونيه» في مكة المكرمة وجدة حيث راقب مناسك الحج

(93) Wilfrid Scawen Blunt's *The Future of Islam* (1882); R. G. Corbet's *Mohammedanism and the British Empire* (1902).

=لقد كان «بلنت» الشاعر والمغامر المعروف زوج حفيذة الشاعر الإنجليزي المشهور «اللورد بيرون». هناك طبعة حديثة لكتاب «بلنت» صدرت عام 2007م، عن دار (Nonsuch Publishing Ltd) بحيث كتبت «ميري فيتزجيرالد» (Mary Fitzgerald) مقدمة هذا الإصدار الحديث في فبراير عام 2007. حصلت على نسخة أصلية من الكتاب من المعرض الدولي للكتاب بالدار البيضاء عام 2018م. وقد تجد من يكتب اسم الكاتب (Wilfred) وليس (Wilfrid). (المترجم).

(94) Katherine Watt, 'Thomas Walker Arnold and the Re-Evaluation of Islam, 1864–1930', *Modern Asian Studies*, 36 (2002), pp. 1–98.

(95) Philip C. Almond, *Heretic and hero: Muhammad and the Victorians* (Wiesbaden, 1989); Clinton Bennett, *Victorian images of Islam* (London, 1992); and Shahin Kuli Khan Khattak, *Islam and the Victorians: Nineteenth-Century Perceptions of Muslim Practices and Beliefs* (London, 2008).

-إن كتاب «شاهين خان» في الأصل أطروحة دكتوراه احتوت على فصول أطول وأكبر مما هو عليه الكتاب، ويمكن الحصول عليه عبر الشبكة العنكبوتية. (المترجم)

(96) Harry J. Benda, 'Christian Snouck Hurgronje and the Foundation of Dutch Islamic Policy in Indonesia', *Journal of Modern History*, 30 (1958), pp. 338–47; P. S. van Koningsveld, *Snouck Hurgronje Alias Abdoel Ghaffar: Enige Historisch-Kritische Kanttekeningen* (Leiden, 1982); idem, Snouck Hurgronje's 'Izhaar oel-Islam': een veronachtzaamd Aspect van de Koloniale Geschiedenis (Leiden, 1982); idem, ed., *Snouck Hurgronje dan Islam* (Jakarta, 1989); Ulrike Freitag, 'Der Orientalist und der Mufti: Kulturkontakt im Mekka des 19. Jahrhunderts', *Die Welt des Islams*, 43 (2003), pp. 37–60; Eric Tagliacozzo, 'The Skeptic's Eye: Snouck Hurgronje and the Politics of Pilgrimage from the Indies', in idem, ed., *Southeast Asia and the Middle East: Islam*,

والنشاط المعاد للاحتلال ونشاط عالمية الإسلام المناهضة للاحتلال؛ ونُقِلَ لاحقًا إلى جُزُرِ الهندِ الشرقية الهولندية. توسل بشبكة واسعة من المخبرين المسلمين لكتابة تقاريره عن الإسلام وهي التقارير التي أثبتت كونها موضوعًا رائدًا للدراسة في حد ذاتها. كما استندت سلطات الاحتلال الألمانية إلى خبرة الدارسين والعلماء الألمانين. وفي مقالته الموسومة «الصور والتصورات الألمانية عن الإسلام في غرب إفريقيا»، أظهر «هولغر فايس» أنَّ التصورات والمفاهيم الألمانية عن الإسلام والسياسات الاستعمارية الألمانية تشكلت بشكلٍ ملحوظٍ على يد خبراء من أمثال «كارل هاينريش بيكر» و«مارتن هارتمن» و«دودريتش ويستمان»<sup>(97)</sup>.

تميل معظم الدراسات عن الإسلام والمعرفة الاستعمارية إلى التقليل من تنوع صور الإسلام؛ والأهم من ذلك، تبقى هناك إشكالية منهجية. فالعديد من الدراسات والأعمال التي تتناول التمثيلات والتصورات الاستعمارية عن الإسلام لا تحدد مصدرها بوضوح، بحيث تنظر في مجموعة من الكتابات؛ وبذلك تقوم بخلط الوثائق الحكومية والأدب والمقالات الصحفية وكتابات الرحالة والمذكرات. وبالتالي يميل الدارسون إلى تجاهل حقيقة أن المؤلفين غالبًا ما تكون لديهم دوافع مختلفة وجماهير وقراء مختلفين للغاية. تستهدف النصوص الأكاديمية وتقارير المسؤولين الاستعماريين وكتابات الرحالة مجموعات مختلفة تمام من القراء وتنوعت بشكل كبير في تأثيرهم السياسي. يظل التأثير الفعلي لهذه النصوص على الممارسة السياسية غير واضح غالبًا. هناك حاجة ماسة لمزيد من البحث المنهجي في الوثائق الحكومية الرسمية التي تتعلق بالإسلام، بما فيها التوجهات السياسية والتقارير الإدارية والمنشورات العسكرية والأوامر. يجب أن تركز الأبحاث المستقبلية بشكل أكبر على «العقل الرسمي» كما أشار إلى ذلك كل من «روبنسون» و«كالاجر»، من أجل استكشاف الأفكار عن الإسلام التي شكلت عمليات صنع السياسات في المستعمرات وفي مراكز السُلطة سواء في لندن وباريس وسان بطرسبرغ<sup>(98)</sup>. ساهمت جميع الكتب والمقالات التي شملتها هذه المراجعة، في أجزاءها الثلاثة، بشكل كبير في

Movement, and the Longue Durée (Stanford, CA, 2009), pp. 135–55; and Michael Laffan, *The Makings of Indonesian Islam: Orientalism and the Narration of a Sufi Past* (Princeton, NJ, 2011).

(97) Holger Weiss, 'German Images of Islam in West Africa', *Sudanica Africa*, 11 (2000), pp. 53–93.

وللنظر في دور حركات التبشير/التنصير في النقاشات الألمانية (الكولونيالية) عن الإسلام إبان فترة الاحتلال، انظر كذلك المقالة التالية:

Per Hassing, 'Islam at the German Colonial Congresses', *Muslim World*, 67 (1977), pp. 165–77.

(98) Ronald Robinson and John Gallagher with Alice Denny, *Africa and the Victorians: The Official Mind of Imperialism* (London, 1961).

فهمنا لتعامل الإمبراطوريات الأوروبية مع الإسلام وارتباطها به. ومع ذلك، فقد تمت كتابة معظم هذه الدراسات في المقام الأول كمساهمات ودراسات حول تأريخ إمبراطورية معينة أو منطقة جغرافية مخصصة ونادرا ما تشير إلى أبحاث عن الإمبراطوريات الأخرى، على الرغم من أن الأسئلة والمواضيع التي أثبتت في جميع هذه السياقات الإمبراطورية متشابهة بشكل ملحوظ. سعت هذه المقالة إلى الجمع بين هذه الدراسات وإظهار بعض الأسئلة ومسارات البحث الشائعة. فهي بذلك تعتبر محاولة لتأسيس موضوع تاريخ الإسلام والإمبراطوريات كموضوع بحث في حد ذاته.